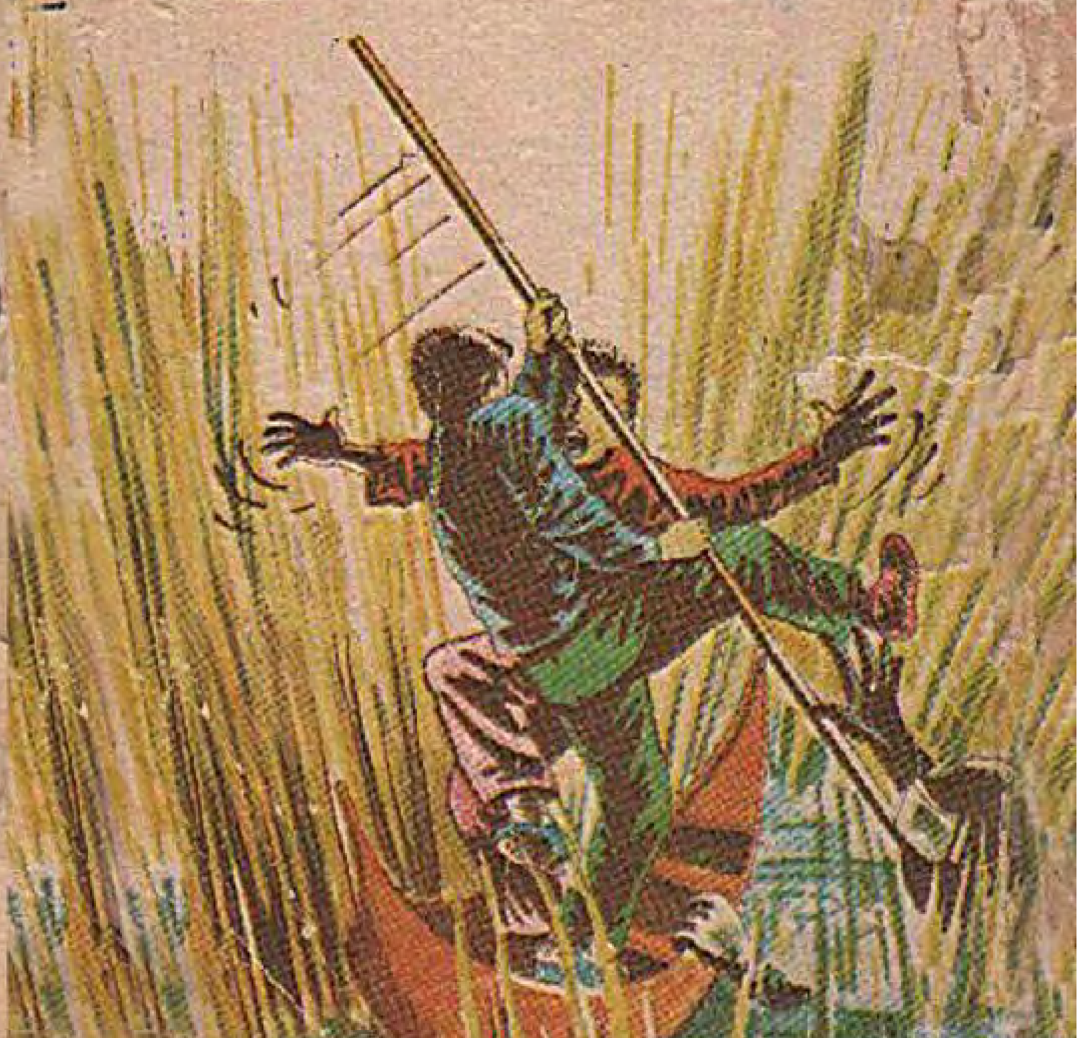
أشباح الليل

محمد شمسي



أشباح الليل

محمد شمسي

« قصة واقعية جرت أحداثها قبل
حوالي اربعين عاما من الان في قرية
صغيرة في أهوار الجنوب »

— ١ —

ظل « أحمد » و « علي » زمنا طويـلا يحلمان بزيارة الاهوار دون ان يتحقق لهما هذا الحلم ، وكلما جاء قريبهما « حسن » وروى لهما بعضا من حكاياتـه المسلية هناك ، تستيقظ قصة الاهوار في رأسيهما مـن جديد .

كان « حسن » يروي لهما حكايات غريبة عـن « تل عزيزة » وعن حيوانات ومخلوقات خرافية لا تظهر هناك الا في الليل فيظلان يستمعان اليه مأخوذيـن ، مندهشين من هذا العالم الغريب ، عالم الاهوار ، ومن « تل عزيزة » العجيب الذي لم يسمعا به من قبل .

وفي تلك الليلة من شهر حزيـران عام ١٩٤٠ بدأ حسن بسرد حكايات جديدة تختلف عن حكاياته السابقة تلك ، فربما كانت حكاياته الاولى وهمية لا أساس لها من الصحة ، يرويها له أناس سمعوها عن آخريـن • اما حكاياته تلك الليلة فقد سمعها ـ كما يقول ـ عن أبيه ، ولا يمكن لابيه ان يسرد قصصا وهمية لم تحدث له بالفعل •

وراح « حسن » يقص آخر حكايات أبيه قائلا :

« في احدى الليالي تأخر أبي في ناحية «الحلفاية» لشراء بعض الحاجيات ، واضطر لكي يختصر الوقت أن يسلك طريق « تل عزيزة » رغم كل ما يدور حـول هذا التل من قصص وأساطير • فنسي وهو يندفـع بزورقه الصغير في الماء أنه قد اقترب من التل المنتصب وسط الماء •

كان الظلام يخيم على المكان فلا يسمع فيه غـير نقيق الضفادع الرتيب ونباح الكلاب وهو يأتي مـن

القرى البعيدة والاكواخ الصغيرة المنتشرة في الاهوار•

في تلك اللحظة سمع حركة صاخبة تأتي من الخلف فكأن جسما هائلا يزيح من أمامه الماء والبردي ويلحق بالزورق • لم يكن ذلك الحدث مثيرا ولا مخيفا لمثـل أبي الذي اعتاد الخروج في الليل لصيد السـمك او للبحث عن الجاموس المتخلف عن القطيع في عودته • فغالبا ما يلتقي في طريقه بزوارق الصيادين وهي تشق طريقها بين القصب والبردي او بخنزير بري يفر مـن أمامه خائفا مذعورا • ولكن ذلك الصوت كان مختلفا تماما •

وحين التفت أبي الى الخلف ، هاله المنظر المروع الذي رآه ، لقد فوجىء بكائن غريب أسـود يقارب حجمه نصف حجم الزورق ، يمد رأسه الكبير الـى الامام وينظر اليه بعينين ملتهبتين تقدحان شررا • كانت ذراعاه طويلتين ، وفي كل لحظة يخرج رأسه الهائل من الماء ويندفع باتجاه الزورق •أحس أبي بالذعر والارتباك

الشديد أول الامر ، لكنه سرعان مااستعاد رباطة جأشه واندفع بزورقه الى الامام محاولا التخلص من مطاردة هذا الوحش الغريب •

ظل يجذف ويجذف وصوت الوحش الذي يطارده يقترب ويقترب ، وحين التفت اليه ثانية كادت ذراعـــاه الطويلتان أن تمسكا بالزورق ، في تلك اللحظة اوشك أبي ان يسقط من الخوف والاعياء ، لكنه ظل عـــلى اندفاعه مستعينا بكل ما تبقى له من قـــوة وقدرة على الصمود • ولم يدر كيف ابتعد بزورقه عن التل ، فقد أحس ان الصوت آخذ يخفت تدريجيـــا ويذوب في الصمت • وحين التفت للمرة الاخيرة لم يرَ سوى موجة هائلة تندفع مبتعدة عن الزورق وشبح الوحش المخيف وهو يخرج من الماء الـــى « تل عزيزة » الذي برز من بعيد مثل قلعة مخيفة في الظلام •

— ٢ —

حين انتهى « حسن » من سرد حكايته عن أبيـــه سرت في جسد احمد وعلي رعشة خفيفة ، حاولا جهـــد الامكان اخفاءها والتظاهر بعدم المبالاة ، وظلا صامتين فترة طويلة قطعها « حسن » بقوله :

— ولكن الغريب ان « تل عزيزة » يبدو في النهار مكانا مثل باقي الامكنة في الاهوار ، تستطيع ان تقترب منه وتستريح عليه ، بل تجد أحيانا اشياء لا تجدها في مكان آخر •

فتساءل احمد بصوت متهدج ما زال الخوف عالقا فيـــه :



حين انتهى حسن من سرد حكايته سرت في جسد احمد وعلي رعشة خفيفة

ـ أشياء لا تجدها في مكان آخر !!؟

ـ « نعم » أجاب « حسن » بهدوء ثم اضاف :

ـ بعضهم وجد خرزاً ملونة واواني فخارية ونقوداً قديمة وحلياً ذهبية وفضية وغير ذلك .

ـ هل وجدوها مطروحة على التل ؟ تساءل أحمد ثانيةً .

ـ لا ، ليس هكذا . في بعض الاحيان وبعد ان تمطر السماء مطرا غزيرا تظهر هذه الاشياء على السطح، ولكن في اغلب الاحيان يجدها الناس حين يحفرون حفراً عميقة في التل فيرونها في الاعماق .

ـ وهل ما زالت هذه الاشياء تظهر ؟

ـ لا ، ليس الان . كان ذلك قبل سنوات ، وقد بدأ الناس يخافون الحفر بعد أن شاعت قصص الاشباح والجن ، فالناس يعتقدون ان هذه هي كنوز الجن ولا

يمكن الاقتراب منها والعبث بها خاصة وان الأشباح أخذت تظهر في الليل بين فترة واخرى •

• • •

ران الصمت على أحمد وعلي وسرحا في تأملات طويلة • لقد قررا أن يسافرا مع قريبهما حسن لقضاء عدة أيام في الاهوار ، وها هو يقص عليهما قصصا تبعث على الذعر والخوف ، فهل سيتركان فكرة السفر ويكتفيان بقصصه الغريبة هذه أم يعزمان على السفر متناسيين كل هذا الرعب الذي خلفته قصصه عن أشباح الليل ووحوشه ؟

كان قرارهما واحدا ، وكان الحلم الذي عاش في رأسيهما زمنا طويلا أقوى من الخوف وأقوى من الفزع وبلحظة واحدة رفعا رأسيهما وقالا بصوت واحد :

ــ نريد أن نرى « تل عزيزة » •

ابتسم « حسن » وكأنه شعر بجسامة القرار الذي

اتخذه الاخوان « أحمد وعلي » بعد فترة الصمت تلك، وأجابهما بهدوء :

ـ كما تشاءان ، نستطيع أن نذهب غدا اذا وافق أبوكما .

وكانت مهمة اقناع الاب ليست عسيرة ، خاصة وان أحمد وعلي تجاوزا سن الطفولة ، فأحمد في السادسة عشرة من عمره وعلي في الرابعة عشرة ، ويستطيعان ان يتصرفا بكثير من التعقل والحكمة ازاء كل ما يعترض طريقهما من مشاكل .

ـ ٣ ـ

في صباح اليوم التالي استعد « أحمد » لمفاتحة أبيه في الامر . كان مترددا بسبب خوفه من عدم موافقته على السفر فآثر أن يتريث قليلا حتى يراه في مزاج طيب ، وكانت تلك عادته مع أبيه حين يطلب منه شيئا مهما .

في تلك الاثناء طُرق الباب ، وكانت مفاجأة سارة حين رأى الجميع قريبهم « ابو حسن » داخلا . لقد اصبحت مهمة اقناع الاب سهلة جدا طالما أن احمد وعلي سيذهبان مع قريبهما هذا .

وهكذا لم تمض ساعة واحدة حتى تقرر سفر

الاولاد الى الاهوار في نفس اليوم ، فقد كان « ابو حسن » على عجلة من أمره •

وما ان انتهوا من طعام الغداء حتى قاموا ، فهيأوا حقائبهم وانطلقوا متوجهين الى « الحلفاية » •

• • •

لم يمكثوا في « الحلفاية » اكثر من ساعة واحدة ثم قادهم « أبو حسن » الى النهر حيث ترك زورقه الصغير مربوطا بجذع شجرة قرب الجسر •

بعد دقائق كان الزورق الصغير يتهادى على صفحة الماء منزلقا مثل سمكة تسبح في حوض ، وراح « ابو حسن » الذي يجلس على لوحة خشبية في مؤخرة الزورق يجذف بهدوء واطمئنان فيتطاير رذاذ الماء بين فترة واخرى ويلامس وجوههم فيشعران باللذة والانتعاش بعد رحلة السيارة المرهقة في الطريق الترابي من العمارة الى الحلفاية •

كان النهر في ذلك المساء هادئا ساكنا لا يعكر هدوءه سوى زقزقة العصافير وهي تعود الى أعشاشها، وضربات المجذاف المتلاحقة من ذراعي « أبو حسن » القويتين •

وبينما كان أحمد وعلي منشغلين بمشاهدة هذه المناظر الساحرة سمعا صوتا يأتيهما من الخلف ، انه صوت سيارة قادمة •• ولكن •• كيف وصلت السيارة الى هذه المناطق وليس هناك سوى الماء والنخيل ؟

التفت أحمد الى « ابو حسن » ليعرف السر ، وفي التفاتته رأى زورقا أبيض يتجه نحوهم بسرعة كبيرة ، فصمت ولم يقل شيئا ، وحين اقترب الزورق منهم رفع « أبو حسن » يده وحيا الرجلين الغريبين اللذين كانا بداخله ، فاستغرب أحمد وعلي حين رد الرجلان على تحية « ابو حسن » بحماسة ولهفة وكأنهما صديقان حميمان له •

قال احمد موجها كلامه الى « ابو حسن » :

— هل تعرفهما ؟ انهما اجنبيان .

— نعم ، هما انكليزيان ، يعيشان هنا منذ اشهر .

— وماذا يفعلان في الاهوار منذ اشهر ؟

— لقد جاءا من العمارة ومعهما تأييد من المتصرف يسمح لهما بالاقامة والتجوال هناك فترة غير محدودة للدراسة .

— للدراسة ؟!! قال أحمد مستغربا .

اجاب « ابو حسن » :

— نعم ، انهما يبحثان عن الاعشاب الطبية في الاهوار .

— اذا كان الامر كذلك فهما يستحقان كل تقدير .

ثم راح « ابو حسن » يحكي لهما كيف جاء هذان الرجلان ، وكيف اختلطا بأهل القرية حتى أحبهما الجميع . كانا يذهبان الى العمارة كل اسبوع ويعودان

ومعهما الادوية وهدايا الاطفال ويبدءان بزيارة الاكواخ واحدا بعد الاخر ، فيقدمان العلاج للمرضى ويقومان بختان الاطفال والعناية بهم ، واذا ما أصاب احدنا مرض مفاجىء في منتصف الليل فيكفي أن نذهب اليهما ونخبرهما بالامر ، فاذا كانا في كوخهما يهرع احدهما مسرعا لعلاج المريض .

اندهش احمد وعلي من قصة هذين الرجلين وتقديمهما الخدمات المجانية للسكان مع أنهما غريبان لا يمتان الى الارض والى الناس بصلة ، وأراد علي أن يسأل « ابو حسن » عن معنى قوله : « اذا كانا في كوخهما » فهل يكونان احيانا خارج الكوخ في منتصف الليل ؟ ولكنه آثر الصمت وترك الرجل يكمل حديثه عنهما دون ان يعترضه بهذا الاستفسار الذي طرأ على فكره فجأة .

في هذه الاثناء كان الزورق البخاري قد ابتعد عن زورقهم وغاب في تعرجات النهر ، ولم يبق سوى صوته



ارتفع صوت « ابو حسن » مناديا ابنه ليساعده بربط الزورق و زال الحقائب والامتعة

الذي بدا هو الاخر خافتا بعيدا .

عاد « ابو حسن » يتحدث مع احمد وعلي عن الحياة في الاهوار وخشونتها وافتقارها الى الكثير من مقومات الحياة الضرورية المتوفرة في المدن ، فليس هناك مدارس الا في أماكن متباعدة ، حيث يضطر الطلاب للذهاب كل يوم عدة كيلومترات في زوارقهم للوصول الى المدرسة ، وليس هناك مراكز صحية ولا كهرباء ولا ماء سوى مياه الاهوار غير النقية .

استغرب احمد وعلي من حديث « ابو حسن » فقد كانا يظنان ان الحياة في الاهوار حياة كلها متعة وسعادة ، خاصة وان الجميع يستطيعون ركوب الزوارق في أي وقت يريدون .

هنا بدأ النهر يتسع قليلا واختفت من جوانبه بساتين النخيل وانتشر بدلها القصب والبردي وتغير لون الماء فصار صافيا ... شديد الصفاء .

نظر أحمد وعلي من خلال عتمة المساء الى المساحات

الشاسعة من المياه ، والى الجـــزر الصغيرة الخضراء المنتشرة في كل مكان فأحسا بزهو كبير وهما يريـــان الهور الذي لم تسنح الفرصة لاحد من أصدقائهم في العمارة بمشاهدته والتمتع بجماله الاخاذ •

وما ان حل الليل حتى كان الزورق يقف عـــلى شاطىء احدى الجزر الصغيرة التي لا يزيد حجمها على حجم بيت كبير من بيوت المدينة ، وارتفع صوت « ابو حسن » مناديا ابنه الذي لا يبعد عنه سوى متر واحد ليساعده بربط الزورق وانزال الحقائب والامتعة •

— ٤ —

حين استقر احمد وعلي في بيت قريبهما « أبـو حسن » شعرا بمتعة كبيرة لم يشعرا بمثلها من قبـل ، فهاهما الان يقيمان في كوخ صغير كأنه سفينة عائمـة فوق سطح الماء ، ولابد ان الايام القادمة ستجعلهما اكثر سعادة ومتعة حيث سيتسنى لهما مشاهدة مساحـات واسعة من الهور . والاهم من ذلك مشاهدة « تـل عزيزة » ، المكان الذي ظل عالقا في ذاكرتيهما بعـد سماعهما تلك القصص الغريبة عنه .

مضت الساعات الاولى كأنها حلم ، وحين تمددا على فراشيهما اللذين لا يبعدان سوى متر واحد عـن

الشاطىء راحا يحدقان في السماء المزدانة بالنجـوم ، ويتنصتان الى اصوات الضفادع والجنادب وكائنـات الليل الغريبة التي لم يألفاها من قبل في المدينة .

وما هي الا ساعة واحدة حتى غط الجميع في نوم عميق ، وبدا لهما ان المنطقة كلها بـدأت تصمت وتغط هي الاخرى في النوم . ولم يعد هناك اي نور ينبعث من الاكواخ الصغيرة المتناثرة على مساحة الماء .

في تلك اللحظة أحس احمد وعلي برهبة كبيرة من هذا العالم المظلم الساكن الذي يحيطهما ، وتذكرا ذلك المخلوق العجيب الذي ظهر أمام قريبهما « ابو حسن » وجعله يحجم عن الاقتراب من « تل عزيزة » ، فراحـا يتحدثان بهمس الى ان انقطع حديثهما تدريجيا وغرقـا في النوم .

في الصباح كان أول شيء يخطر ببالهما هو الزورق فما ان استيقظ الجميع وتناولوا فطورهم حتى قام أحمد

وعلي وطلبا من « حســـن » أن يهيــيء لهما أدوات التجذيف فامتثل لطلبهما في الحال ، بل كانت العائلـة جميعها بانتظار طلبات قريبيهم القادمين مـن المدينـة لاشعارهما باهتمامهم وقيامهم بخدمتهما على أحســن حال •

وحين ركب الثلاثة في الزورق راح الاطفال الصغار والفتيات يقفون على حافة الماء سعداء فرحين وهـم ينظرون الى أحمد وعلي وهما يأخذان مكانيهما بحذر وسط الزورق قبل ان يبتعد قليلا قليــلا ويختفي خلف القصب والبردي •

● ● ●

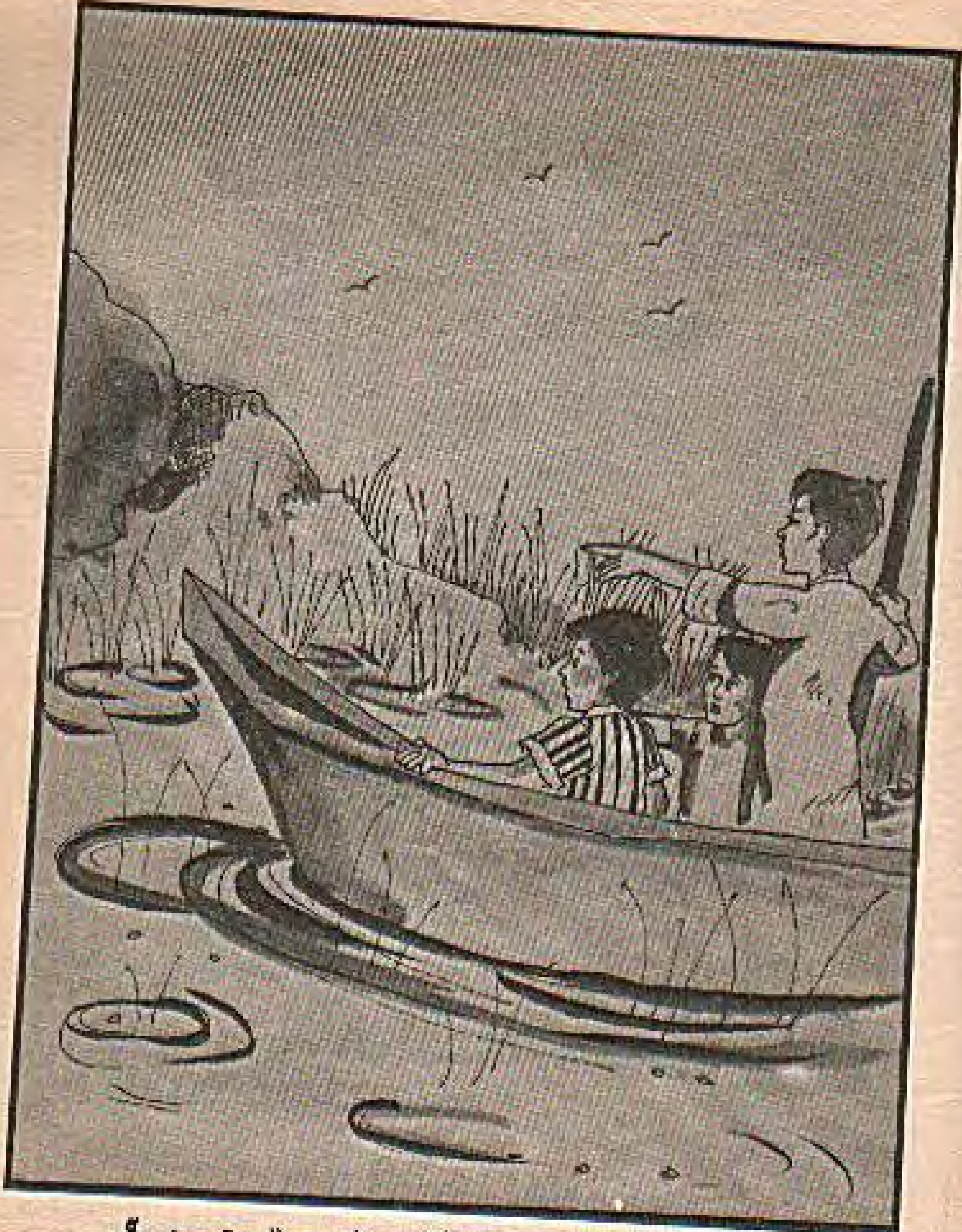
سرعان ما ألف أحمد وعلي الهور وانغمرا في عالمه الساحر الجميل ، وزال عنهما الحذر تدريجيا فقاما من وسط الزورق وبدءا يجذفان متناوبين حتى تعبا وتحولت متعة التجذيف وقيادة الزورق الى تعب وارهاق ، فتركا هذه المهمة الى قريبهما « حسن » الذي لم يبدُ عليـه

التعب بسبب تمرسه واعتياده على الجذف الطويل •

في تلك اللحظة كان الزورق قد ابتعد بهم مسافـة طويلة وسط الهور ، ولم يكن هناك غير الماء والقصب والبردي ، وبين فترة واخرى يمر من امامهم زورق لاحد الصيادين او يقابلهم قطيع صغير من الجاموس منغمر في المياه وهو يأكل الحشائش بهدوء واطمئنان • ثم فجأة وقف حسن وقد تغيرت ملامح وجهه فكأنه يريد ان يدلي بشيء مهم يستدعي منهما الاهتمام والانصات • وقبل ان يسأله احمد عن سبب وقوفه هكذا في تلك البقعـة الخالية وسط الهور ، قال حسن :

ــ ها قد وصلنا التل •

وكانت كلمة « تل » وحدها كافية لاثارة فـزع احمد وعلي تلك اللحظة ، فقد نسيا في غمرة مشاهداتهما وحديثهما المتصل كل شيء عن « تل عزيزة » وعـن القصص والحكايات المرعبة التي يعرفانها عنه • وحيـن



حين التفتا الى حيث كان يشير « حسن »
لم يجدا غير تل صغير داكن اللون

التفتا الى حيث كان يشير « حسن » لم يجدا غير تـل صغير داكن اللون يبرز من بين حزم القصب والبردي دون أن يبدو عليه أي مظهر من مظاهـر الرعب التـي تحيط ــ عادة ــ بالاماكن النائية والمسكونة •

وهكذا لم يجدا في نفسيهما الخوف وهما يحثان «حسن» بالتوجه الى التل • كانا يظنان انهما سيشاهدان تلا مخيفا يشبه تلك القلاع الســوداء القديمـة التي سبق لهما رؤيتها في السينما ، ولكنهما الان امام تـل ترابي صغير لا يزيد ارتفاعه على ارتفاع بيت متوسـط الحجم ، فلماذا اذن كل هذه الاساطير الغريبة وهــذه القصص المفزعة حوله ؟

ضحك أحمد وهو يقترب من التل ، بل كان أول من هبط اليه كي يثبت لقريبه حسن أن الامر لا يعدو أن يكون نزهة لا تختلف عن نزهاته الاخرى بشيء •

وقبل أن ينتهي « حسن » من ربط زورقه بأحد

الجذور القوية كان أحمد قد دار حول التل وصعد الى قمته المسطحة وجلس هناك •

كل شيء يبدو عاديا ، حتى الحفر العميقة الضيقة المتدة الى عدة أمتار وحتى القطع الفخارية المتكسرة والمنثورة هنا وهناك حيث اعتاد الناس ـ كما أخبره حسن ـ ان يحفروا في التل للبحث عن الخرز الملون وقطع النقود الذهبية والفضية • ولكن شيئا واحدا فقط جعلهما يقفان مبهوتين جامدين في مكانهما •• لم يكن ذلك الشيء سوى كتاب صغير باللغة الانكليزية مطروح في تلك الحفرة العميقة كأنه سقط من صاحبه دون علمه •

استغرب « حسن » من دهشة احمد وعلي وهما ينظران في ذلك الكتاب الصغير فمد يده وسحبه من أحمد قائلا :

ـ ماذا جرى ؟ انه كتاب « المستر » او كتاب صديقه فهما يتنزهان هنا باستمرار ولابد انه سقط من

أحدهما في احدى النزهات .

لم يقل أحمد شيئا ولكنه راح يحدق في المكان الذي وجد فيه الكتاب فلم يجد سوى عدد من أعقاب السيكاير وعلبة كبريت فارغة مطروحة فوق التراب .

وفي طريق العودة ظل صامتا يفكر عما يعنيه وجود الكتاب في ذلك المكان بالذات . لقد سمع كثيرا عن وجود كنوز دفينة في التراب وعن خرائط تدل على مكان تلك الكنوز . فهل هذا الكتاب الذي رآه يوضح كنوز الذهب المخبوءة في « تل عزيزة » ؟

وحين تصفح الكتاب ثانية لم يجد فيه غير كتابة غريبة لم يستطع ان يحل رموزها ، وغير صور اعتيادية لرجال ونساء وبنايات عالية وحدائق لا صلة لها بالتل ولا بالاهوار من قريب او بعيد .

— ٥ —

في مساء ذلك اليوم ذهب حسن واحمد الى كوخ الرجلين الغريبين ليعطياهما الكتاب الذي وجداه في التل . لبثا معهما فترة قصيرة تركتهما مندهشين لاهتمام الرجلين بهما وزادت دهشتهما حين راحا يتحدثان اليهما بطلاقة وهما اللذان لم يصلا الهور الا منذ اشهر قليلة . كيف استطاعا ان يتعلما اللغة العربية بهذه السرعة ؟ هذا لغز جديد أضيف الى لغز وجودهما في ذلك المكان واختلاطهما بالناس .

وحين عرفا من أحمد اهتمامه الشديد «بتل عزيزة» بان على وجهيهما الكدر والاستياء وأخبراه صراحة

بالخطر الذي يحدق به باقترابه من هذا التل • وأعادا عليه بعضا من قصص الناس الغريبة وحكاياتهم المخيفة حولـه •

غادر أحمد وحسن كوخ الرجلين وما زالت أحاديثهما ترن في أذني أحمد ونظراتهما الغريبة الصارمة ــ وهما يودعانه ــ تخفي في بريقهما سرا لا يستطيع تفسيره •

وفي الكوخ قال أحمد لحسن وكأنه يعترف له بسر لا يريد ان يسمعه الاخرون :

ــ الا تعتقد يا حسن أن هذين الرجلين يبحثان عن الكنز ؟

ــ أي كنز تعني ؟ أجاب حسن

ــ أعني الكنوز المخبوء في « تل عزّيزة » •

ــ انهما طبيبان ولا أظن ان ذلك يعنيهما كثيرا •

ــ كيف ؟ الكنوز تعني الجميع ولا فرق بين

طبيب وفلاح • انها تغري أي شخص بالبحث عنها •

ــ دعك من هذه الاوهام يا احمد ، لقد ذهبت الكنوز منذ بدأت الاشباح تخرج في الليل ، ولم يتجرأ أحد أن يمد يده الى شيء في « تل عزيزة » •

لم يجد أحمد غير الصمت يلوذ به • ولكن صمته لم يكن بسبب اقتناعه برأي قريبه حسن ، بل لانه لا يملك الدليل الكافي ليثبت شكوكه حول هذين الرجلين وقصة بحثهما عن الكنز •

وفي اليوم التالي ألح أحمد على قريبه ان يقوما بجولة اخرى قرب التل واختار الغروب وقتا لهذه الجولة مما جعل حسن يعترض بشدة ويحذره من هذا التهور الذي لا طائل تحته • ولكن احمد استطاع ان يؤثر على حسن خاصة وان الاخير لا يريد أن يرد طلبا لقريبه ما دام في ضيافته ، فخرجا معا دون ان يخبرا احدا من الاهل بحقيقة هذه الجولة •

وكما حصل في المرة الاولى راح حسن يقـــود الزورق الصغير بمهارة وخفة حتى ابتعدا عن القريـة وتوغلا داخل الهور مسافة ليست بالقصيرة ، ونســيا وهما في غمرة الحديث أنهما أخذا يقتربان من التل • في تلك اللحظة كانت الشمس قد هبطت خلف الافق ولم يبق منها ســـوى لونها الارجواني الذي بدأ يختلط بالظلام قليلا قليلا •

أحس أحمد بفداحة ما أقدم عليه ، فها هو التـل الذي رآه أمس يبدو من بعيد كأنه وحش مخيف يبرز من تحت الماء • لقد كان مجرد تل صغير داكن ، وها هو الآن يرتفع أمامه ويمتد كأنه يخرج من الظلام الى فوق ليعترض طريق كل من يقترب منه • أدار رأسه الى جهة أخرى ولكنه سرعان ما عاد وحدق في التل ثانية وفي كل مرة كان يراه بهيئة جديدة مفزعة حتى أوشك ان يصرخ • في تلك اللحظة تذكر انه ليس وحيـــدا في الزورق وان قريبه حسن سرعان ما سيحس بالذعر الذي بدأ ينتابه ،

فتماسك قليلا واستعاد رباطة جأشه ، ولكنـــه قرر ان يخبر حسن بضرورة العودة ، وحين رفع رأسه للمـــرة الاخيرة باتجاه التل فوجىء بهزة عنيفة تجتاح الزورق فكأنما هناك يد كبيرة لطمته من تحت الماء •

أمسك أحمد بجانبي الزورق وسقط حسن مـــن مكانه وتهادى قرب أحمد • وفي لحظة خاطفة ودون ان يتحدث احدهما مع الاخر أحسا بخطورة هذا العارض الغريب فأسرعا يمسكان بالمجاذيف وشرعـــا يجذفـــان بسرعة كبيرة •

كان خوفهما واحدا واحساسهما بالخطر الداهـــم واحدا ، فقد عرفا من تلك الهزة العنيفة ان الامر له صلة كبيرة بالتل وان العارض ليس جذع شجرة مغروسا في الماء ولا خنزيرا فاجأه الزورق مصادفة فارتطم به •

وقبل أن يستعيدا أنفاسهما اللاهثة اهتز الزورق ثانية بصورة أشد من الاولى فأغمضا أعينهما واستسلما

لما ستسفر عنه اللحظات القادمة من أحداث ، ولكـن الزورق اعتدل ثانية وسط الماء . أمسك احمد وحسن بالمجذافين مرة اخرى وأخذا يجذفان باتجاه القريـة ، ولكن الزورق الذي كان ينساب بهدوء قبل قليل ظـل واقفا لا يتحرك ، حاولا تحريكه ولكن عبثا . في تلك اللحظة شعر الولدان ان هناك شيئا ما يمسكه ويعيـق انسيابه في الماء ، وحين التفتا بوقت واحد فوجئا بمشهد لم تقع أعينهما على مثله من قبل . كان يبرز من تحت الماء كائن كبير أسود له رأس مخيف وعين زجاجيـة واحدة ، وقد مد يده السوداء ذات الاصابع الطويلـة وأمسك بالزورق .

لم يستطع احمد عمل شيء سوى أن يصرخ صرخة ضارية وينكفىء داخل الزورق وهو يغطي وجهه بيديه، وكاد حسن ان يرمي بنفسه في المـاء لولا ان الوحش نفسه كان ينتظره هناك ، وحين رفع المجذاف الى فوق وهوى به على تلك اليد السوداء الغريبة لم يكن يدري



لحظة برز من تحت الماء كائن كبير أسود له رأس مخيف وعين زجاجية واحدة

انه قد أصاب الوحش اصابة بالغة • كانت الدقائق التالية غامضة على الولدين لم يذكرا منها سوى انهما استعادا انتباههما وراحا يجذفان بسرعة كالمجانين حتى وصلا الى القرية ، وهناك سقط كل منهما مغشيا عليه دون ان يستطيعا اخبار احد بما جرى •

— ٦ —

كان ما حدث لاحمد وحسن شيئا لا يمكن وصفه، ففي الوقت الذي كانت فيه العائلة تنتظر الولدين للعشاء سمع الجميع صيحات مفزعة وصرخات غريبة قريبة من البيت ، وفي اللحظة التي قاموا بها ليستطلعوا الامر قفز أمامهم أحمد وحسن وسقطا على الارض بلا وعي • ثم أخذتهما رعدة وظلا يهذيان ويصرخان ليلة كاملة دون ان يعرف أحد ماذا حدث لهما بالضبط •

وفي صباح اليوم التالي بدأا يستعيدان هدوءهما تدريجيا ، ولكنهما بقيا محمومين لا يقويان على القيام من فراشهما • فلم يجد « ابو حسن » بدا

من الذهاب الى كوخ الرجاين الاجنبيين لاخبارهما بحالة « أحمد وحسن » راجيا من أحدهما زيارتهما والكشف عما أصابهما وجعلهما بهذه الحالة السيئة •

وبالفعل عاد « ابو حسن » ومعه « المستر » ذو اللحية الكثيفة والجسد الضخم فنظر هذا اليهما وجس نبضهما ثم غادر البيت بعد أن قدم لهما شيئا من الدواء •

كان « المستر » مسرعا ، لا مباليا في فحص الولدين فكأنه هو الاخر يعاني من وجع ألم به • وحين سأله « ابو حسن » عن حاله أخبره هذا بأنه على ما يرام ولكن زميله الاخر مريض ولا يستطيع تركه وحيدا ولابد من العودة اليه في الحال •

هكذا لم يبق المستر مع المريضين فترة طويلة كما عود هو وصاحبه الضئيل الجسم سكان القرية عند زيارة مرضاهم •

وفي اليوم التالي استعاد احمد وحسن صحتهما

قليلا وذهبت عنهما الحمى واستطاعا أن يأكلا شيئا من الطعام بعد يومين كاملين لم يتذوقا خلالهما غير الدواء.

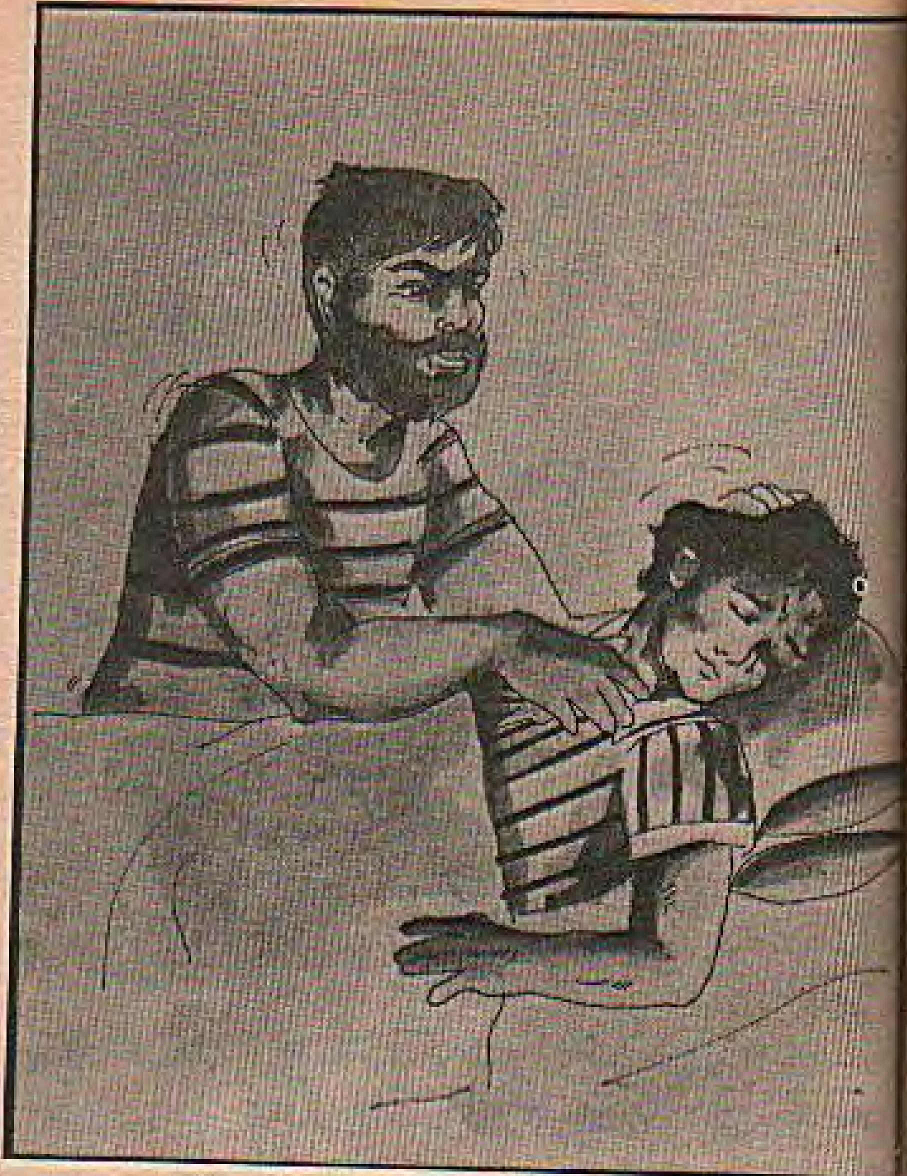
ساعتها أخذا يرويان ما حدث لهما بالتفصيل ، وكان « ابو حسن » وعلي وباقي أفراد العائلة يستمعون الى حديث الولدين .

لم يكذبهما أحد ، فالوحش الذي خرج لهما سبق له أن قابل « ابو حسن » نفسه وكاد أن يحصل له ما حصل لاحمد وحسن لولا انه كان اكثر تحملا وأشد تماسكا منهما .

لكن الوحش الذي خرج لـ « ابو حسن » كان يفوقه في الحجم مرتين تقريبا .

● ● ●

شاعت قصة الوحش في القرية وتأكد الجميع ان اعتراضه الناس ليلا لا يتعدى منطقة صغيرة تحيط بتل عزيزة ، فكل من يقترب من هذا التل بعد الغروب يعرض



حين فحص « المستر » ذو اللحية الطويلة الولد
قدم لهما الدواء وغادر الكوخ مسرعاً

نفسه لغضب الوحش •

وهكذا بدأ الصيادون والمسافرون يسلكون طرقا أخرى بعيدة عن التل • وزادت القصص والحكايات الغريبة التي تتحدث عن ظهور الوحش • مرة عاد احد الصيادين في ساعة متأخرة من الليل بعد أن جمع عددا كبيرا من الاسماك وكان طريقه الى القرية يمر من أمام التل ولكنه آثر ان يدور دورة كاملة كما يفعل الاخرون كي لا يضطر للمرور من جواره ، وحين وصل الى النقطة التي سيدور منها ويمضي الى القرية التفت الى جهة التل فهاله أن يرى نورا ابيض ينبعث من جهته • كان جزء من التل مضاء وكأن عشرات الفوانيس قد علقت به •

ومرة كان صياد آخر يصطاد السمك قرب التل وقبل أن يأتي المساء علقت شبكته في أحد الجذور العميقة فحاول سحبها لكنه لم يستطع ، وفكر ان يتركها ويمضي الى بيته لكنه تريث قليلا فهو لا يملك غير تلك

الشبكة التي تشكل مورد رزقه ورزق عائلته الوحيد ، ثم اقنع نفسه بأن الوحش لا يعتدي الا على من ينوي الاقتراب من الكنز أو يحاول سرقته لهذا راح يكـرر المحاولة عدة مرات ، وحين اظلمت الدنيا قليـلا أحس الرجل ان الشبكة لم تكن قد علقت بجذع شجرة داخل الماء بل ان هناك يدا في الاعماق تمسك بها ، ولما أحس بأن هذه اليد بدأت تسحب الشبكة وتحاول سحبه معها فر من المكان هاربا ، وقبل أن يبتعد سمع قهقهة الوحش الغريبة الساخرة وراءه •

هذه القصص وقصص اخرى غيرها بدأت تشيع بين الناس ، وحين شاعت قصة « المستر » ذي اللحيـة الكثيفة أخذ الناس يعيدون كل شيء سـبق لهم أن وجدوه في التل •

ففي صباح احد الايام جاء هذا الرجـل الغريب وقص حكايته تلك قائلا :

« وجدت يوما كوزا جميلا على الشاطىء فنظفته

وحملته معي في الزورق ، وما ان سرت قليلا حتى سمعت شخصا يتحدث الي • ولما كنت وحيدا في الزورق أخذت أتلفت هنا وهناك لارى المتحدث ، ولكني فوجئت بأن الحديث قريب مني ، بل كان الصوت من داخل الزورق وحين تنصتّ اليه سمعته يقول :

ـ الى اين تذهب بي أيها الرجل ؟

فذهلت اول الامر لانني ـ كما قلت ـ وحيد في الزورق ، ورحت أنظر الى الجوانب لعلي أرى أحـدا يتعلق به ، وعندما لم أرَ شيئا قلت لنفسي « ربما أنـا أتخيل ذلك » وبعد قليل سمعت الصوت نفسه يقول لي :

ـ لماذا لا تعيدني الى مكاني وتنجو بنفسك ؟

لحظتها أوشكت على الجنون ، فعندما نظرت الى الكوز الجميل عرفت كل شيء • لقد كان الصـوت يخرج من فوهته الصغيرة فرميته مسرعا وهربت » •

بعد حكاية « المستر » هذه راح الناس يعيدون الاواني المعدنية والتماثيل الصغيرة والخرز والقدور والاوعية الفخارية القديمة والحلي والقلائد الى التل خوفا من أن يلحقهم الاذى وتصيبهم الامراض كما أخبرهم « المستر » بعد ذلك وكانت تختفي في الليل ولا يظهر لها أي أثر في النهار التالي .



بعد حكاية « المستر » راح الناس يعيدون الاواني المعدنية والتماثيل الصغيرة والحلي والقلائد الى التل

ــ ٧ ــ

استعاد أحمد وحسن صحتهما تماما وعاد اليهما مرحهما السابق وأخذا يتحدثان عن الوحش وكأنه ذكريات قديمة لم تترك أثرا سيئا في نفسيهما ، وصارا يعودان الى البيت عصرا ولايفكران بالخروج والنزهه في الليل كالسابق ، مما أغاض « علي » وجعله يصف أخاه الكبير بالخوف ، وحين هدده هذا بالوحش ، فاجأه « علي » قائلا :

ــ ليس هناك وحش •• انتما تتخيلان ذلك •

أصيب أحمد بالدهشة من كلام أخيه الصغير ، فلو كان وحيدا في الزورق لحقّ لعلي أن يكذبه هكذا ،

أما وقد حدث ما حدث بوجود قريبه « حسن » فكيف يجوز له أن يكذبه او يصمه بالخوف والتخيل ؟

ولكن « علي » الذي لم يكن من عادته أن يتحدث كثيرا عاد وكرر قوله الاول وأضاف :

ـ كل القصص التي سمعتها حول الوحش لا أساس لها من الصحة ، ولابد انكم جميعا أصبحتم تتخيلون ذلك .

ـ حتى « المستر » وصاحبه !!؟ قال حسن مندهشا .

ـ نعم حتى « المستر » وصاحبه بل هما لم يتخيلا فحسب بل يكذبان أيضا .

وصمت الجميع غاضبين من رأي « علي » هذا ، خاصة وان الوحش يستطيع ـ كما يعتقد الجميع ـ ان يعاقبه على ما يقول وهو في البيت بعيد عن التل عدة أميال .

قال أحمد :

ـ لو لم أشاهد أنا بعيني هاتين رأس الوحش ويديه وعينه الوحيدة الكبيرة لما صدقت جميع القصص، ولاعتبرت كل ذلك خيالا وتصورا ، أما وقد رأيته بعيني فأنا أصدق كل ما قيل وسيقال عنه حتى لو كانت أغرب من القصص التي سمعنا .

وبصراحة بدأت أخشى الان أن يلحقك ضرر من كلامك هذا ، فأرجو ان تكف عن ذلك وتعتذر في أعماقك عما قلت .

لكن « علي » كان مصرا على قوله ، ومع انه ظل صامتا بعد ذلك الا انه قرر بينه وبين نفسه أن يبرهن للجميع على صحة رأيه واعتقاده .

وقبل ان يقوم ويترك أحمد وحسن وحيدين التفت الى حسن قائلا :

ـ هل أنت متأكد من أنك ضربت الوحش ضربة

قوية على يديه بالمجذاف ؟

ـ نعم ، وأظن انني سمعته يتوجع .

ابتسم علي وقال :

ـ وهل تعتقد أن الوحش يتوجع من ضربة ولد خائف مثلك ؟

فأجاب حسن محتدا : « اتكذبني يا علي . لقد ضربته بقوة ولولا الضربة لظل ممسكا بالزورق ولم يتركه .

ـ اذن فهو يتألم ويتراجع اذا ما وجد مقاومة ، بالضبط كما يفعل البشر ؟

ـ لا ادري ، واظنك يا علي تسأل أسئلة لا معنى لها . لقد رأينا الوحش وأصابنا ما أصابنا بسببه فلماذا لا تريد تصديقنا ؟

قال علي : « بل أنا اصدقكما ، ولكني أظن أنكما خلطتما الحقيقة بالخيال ، كما ان جميع القصص التي

تتحدث عن هذا الوحش وعن « تل عزيزة » قد امتزج فيها الواقع في الخيال .

ـ ليكن ما يكون .. حقيقة أم خيالا ، فأنت لا تستطيع اقناعنا بأن الوحش لا وجود له على الاطلاق .

ـ بل الوحش موجود ، ولكن خلفه يوجد انسان مثلي ومثلك .

ضحك أحمد وحسن من كلام علي وأخبراه صراحة بأن ما يقوله هو الخيال بعينه . اذ كيف يستطيع الانسان أن يبقى ساعة تحت الماء يمسك بشبكة الصياد ؟

وكيف له أن يظل تلك المدة الطويلة وهو يحاول قلب الزورق ؟

بل كيف أصبح هائلا كبير الحجم كما رآه « ابو حسن » نفسه ؟

صمت علي قليلا ، ثم قام من مكانه وقد زاد اقتناعا بوجهة نظره ، وقرر بينه وبين نفسه أن يكشف لهما السر ذات يوم .

— ٨ —

مرت الايام بسرعة ، وقاربت زيارة احمد وعلي أن تنتهي ويعودا الى أهلهما في العمارة . في تلك الفترة كان علي لا ينفك يخرج كل يوم ويتجول في الزورق وحيدا حتى ساعة متأخرة من النهار دون أن يتحدث عن الوحش كما يتحدث الاخرون .

وذات يوم خرج كعادته ايضا . مضى النهار كله ولم يعد فاشتد قلق احمد وحسن وباقي افراد العائلة عليه جميعا وخرجوا للبحث عنه . فتشوا الهور طولا وعرضا ولكن عبثا فليس هناك أي أثر لعلي في كل مكان . ولم يبق الا مكان واحد لم يذهبوا اليه ، ولكن

هل من المعقول أن يذهب علي الى هناك ؟ هل تصل به الجرأة الى هذا الحد فيذهب الى « تل عزيزة » وقد عرف ما يعني ذهابه الى هناك حق المعرفة ؟

قال أحمد : أنا أعرف علي جيدا ، انه لم يصدق كل ما سمعه عن الوحش ولابد انه مضى ليتحقق بنفسه .

أجاب حسن بمرارة واندهاش : لكن لماذا يفعل ذلك ؟

وكيف سيجابه الوحش لوحده ؟

ساد الصمت على الوجوه وانتظر الجميع ان يقترح احدهم شيئا . لقد فتشوا الهور بقعة بقعة ولم يبق الا « تل عزيزة » فهل يخاطرون بأنفسهم ويذهبون الى هناك للبحث عنه ؟

كانت فكرة البحث عن علي في هذا الظلام الدامس قرب « تل عزيزة » فكرة لا تخلو من مخاطر ، وفكرة تركه هناك وحيدا هي الاخرى مخاطرة لا يمكن التسليم

بهـا .

مضت الدقائق قاسية بطيئة قبل ان يقرر « ابو حسن » والاخرون ان يذهبوا الى هناك حيث سيكون الوحش بانتظارهم دون ريب .

في تلك اللحظة كان ثمة شبح أسود يبدو مقبلا من جهة التل ، فتوقف حسن عن الجذف باشارة من أبيه وظلوا صامتين بانتظار أن ينكشف لهم هذا القادم الغريب .

وما هي الا لحظات حتى فوجىء الجميع بعلي يقود زورقه الصغير وكأنه في نزهة .

ــ علي !! صاح أحمد مندهشا وكأنه يستنكر وجوده في ذلك المكان .

ــ نعم .. من ؟ أحمد ؟ رد علي بفتور

ــ ماذا تفعل برب السماء طول اليوم ؟

ــ ماذا أفعل ؟ لماذا هذا السؤال .. كنت أتجول قرب التل .

ــ قرب التل !! صاح الجميع وكأنهم يتحدثون مع مجنون .

ــ نعم قرب التل .. ماذا في ذلك ؟

ــ انت ترمي بنفسك في المازق وترمينا معك ايضا. قال ذلك « ابو حسن » وهو يحثه على الانطلاق بسرعة الى البيت .

وفي البيت تجمعت العائلة كلها حول علي وراحوا يسألونه عما جرى له هناك . هل ظهر له الوحش أم لا ؟ وكيف استطاع النجاة بنفسه وهو الاعزل من كل سلاح.

ولكن علي ببروده المعهود أجابهم بأنه لم يشاهد أي وحش ولم يعترضه أي معترض . وانه قضى الساعة الاخيرة جالسا على شاطيء التل ينظر الى النجوم الساطعة وهو يمد ساقيه في الماء .

فغر الجميع أفواههم مذهولين وهم ينظرون الى علي ، « فأبو حسن » نفسه رأى الوحش الهائل الكبير وهو يطارده حتى ابتعد عنه ، ثم رآه وهو يخرج من الماء الى التل تاركا وراءه موجه عالية قرب الشاطيء .
وحسن واحمد شاهدا الوحش معا وهو على بعد نصف متر منهما ممسكا بالزورق ، فكيف يكذبان أعينهما ويصدقان « علي » ؟ وباقي افراد العائلة ... الاطفال والنساء سمعوا عن الوحش اكثر من قصة ومع اكثر من شخص ، فكيف ينكرون وجوده ويصدقون صبيا مغامرا مثل علي ؟

كان الذي حصل لغزا كبيرا بالنسبة لهم ومشكلة سرعان ما تفاقمت حين قام علي الى الزورق وعاد حاملا معه كيسا صغيرا يخفي بداخله شيئا . وراح الجميع ينظرون الى علي وهو يفتحه برفق ويخرج منه كوزا صغيرا من الفخار .

كانت الدهشة قد تحولت الان الى صدمة كبيرة ،

فالكوز الذي ظهر بيد علي هو نفس الكوز الذي أعاده جارهم « سعيد » قبل فترة الى « تل عزيزة » خائفا مذعورا حين سمع بانتقام الوحش من كل الذين مدوا أياديهم وأخذوا من كنوزه وادواته .

اذن كيف تجرأ علي وفعل ذلك ؟

قال « ابو حسن » بصوت امتزج فيه الخوف بالدهشة والعجب :

أخبرنا يا علي ، كيف ذهبت الى التل في الليل ولم يصادفك الوحش ؟ ثم كيف أخذت هذا الكوز وعدت به في الزورق دون أن يحدث لك أي حادث ؟

أجاب علي بهدوء : ها أنتم ترون ذلك امامكم ، فهل ما زلتم تعتقدون بوجود الوحش ؟ ثم اضاف ساخرا :

وانظروا الى الكوز ، لقد تحدثت معه كثيرا في الطريق ولكنه ظل صامتا ولم يفتح فمه كما فعل مع

« المستر » ذي اللحية الطويلة .

في تلك اللحظة تذكر « ابو حسن » ان جميع الاواني الفخارية والقلائد والتماثيل الصغيرة والقطع المعدنية التي أعادها القرويون الى التل قد اختفت مباشرة وكأنه قد ابتلعها ثانية وبسرعة ، فقال موجها كلامه الى علي :

ـ ولكن اين عثرت على هذا الكوز وقد عرفنا ان جميع ما اعاده سكان القرية قد اختفى في اليوم التالي ؟

أمسك علي بالكوز من عروته وكأنه يحاول خلعها. وبالفعل انشطر الكوز بيده الى شطرين .

انتظر الجميع منه ان يفسر لهم معنى ذلك ، وسرعان ما فتح فمه قائلا :

ـ انه ـ كما ترون ـ مكسور ، وقد أصلحته هكذا بالطين ، ولكي اوضح الامر لكم بصورة دقيقة أود أن اخبركم بأنه ليس الكوز الذي أعاده « سعيد »

قبل مدة ، انما هو كوز آخر يشبهه ، وقد تركه الرجل ولم يأخذه لهذا السبب :

ـ أي رجل تعني ؟ قال « ابو حسن » متسائلا :

ـ الرجل الذي كان يبحث عن الكنز .

ـ رجل يبحث عن الكنز !!

ـ نعم .. كما تعلمون هناك كنوز دفينة في أعماق التل ، وقد عثر بعضكم على شيء منها وأعاد بعضكم الاخر ما وجده هناك بسبب الخوف .

ـ هذا نعرفه جيدا ، ولكن ماذا تعني بقولك « الرجل الذي كان يبحث عن الكنز » ؟

ـ أعني ان هناك شخصا او اكثر يعرفون بوجود الكنز ويعرفون أيضا ان قصة الوحش والاشباح التي تظهر في الليل ما هي الا اسطورة وخيال خلقوه من أجل الاستحواذ على هذا الكنز .

اصابت الحيرة الجميع بعد سماعهم كلام علي ،

وقد بدا لهم وكأنه شخص آخر ليس « علي » الصبي الذي يعرفونه • انه الان حكيم وشجاع يخرج عليهم كل دقيقة برأي غريب وحكاية تذهل العقول • فهل يصدقون ما يقول ام يصدقون عقولهم التي رأت وآذانهم التي سمعت ؟

بقي الجميع في حيرة لم تنته حتى قام علي الى فراشه وهو يقول :

ـ اتركوا الامر لي ، فأن القضية ما زالت في بدايتها ولابد لي من ان أضع يدي على طرف الخيط •

ـ ٩ ـ

في صباح اليوم التالي شاعت حكاية علي وذهابه في الليل الى « تل عزيزة » ، فأصاب الناس في القرية من العجب والدهشة مثل ما أصاب « ابو حسن » وعائلته ، وحين عرفوا عودته بالكوز المكسور من هناك انقلبت دهشتهم الى خوف على « علي » وعلى العائلة جميعا •

اذن لابد من ان تعاقبهم الاشباح على هذه الفعلة فالناس حين كانوا يأخذون ما يجدونه في التل لم يكونوا يعلمون بغضب الاشباح التي تحرسه والوحش الذي يعيش قربه ، وحين علموا بذلك أعادوا كل شيء الى مكانه • أما علي فقد فعل فعلته متعمدا •• متحديا كل

شيء ، لذا فان تصرفه هذا سرعان ما يعود عليه وعلى عائلة « ابو حسن » بالضرر الكبير •

هكذا كان الناس في القرية يعتقدون ، وكان علي يسمع ذلك ويسخر منهم فيصمت (ابو حسن) واحمد والاخرون دون ان يفعلوا شيئا • مرة يشيرون عليه بأعادة الكوز الى مكانه ومرة اخرى يجارونه على ما يفعل منتظرين وعده اياهم بأنه سوف يضع يده على طرف الخيط •

وما ان مضت ليلة اخرى على تلك الحكاية وبزغ صباح جديد حتى استيقظ الجميع على شيء لم يحدث مثله في القرية من قبل أبدا •

كانت البقعة الضيقة من الارض والتي تفصل اكواخ « ابو حسن » عن الشاطيء مليئة بقطع صغيرة من الفخار المكسور الذي لا يوجد مثله الا في « تل عزيزة » ، وكان على مقربة منها يتمدد كلبهم الاسود مقطوع الرأس وقربه ثلاث سمكات صغيرات •

كان المشهد غامضا لا يحتمل أي تفسير ، فما معنى قطع الفخار المنتشرة في المكان ؟ ولماذا قتل الكلب وقطع رأسه ؟ ثم ما هذه السمكات الثلاث التي وجدت قرب جثة الكلب ؟•

كان الناس وهم يشاهدون ذلك المنظر يغمغمون ويمضون مبتعدين عن المكان متعوذين بالله من هذه اللعنة الغريبة • ويبدو ان الاتهام انصب كله على «علي» فها هي علامات الانتقام قد ظهرت ، وما هذا الذي حصل الا بداية واشارة لمآسٍ كبيرة سوف تظهر •

وبدأ الهمس والغمغمة تعلوان شيئا فشيئا حتى صارحوا « ابو حسن » أمام أهله وأقاربه ، وقالوا له بمنتهى الوضوح ان ما عمله قريبه كان سببا في ما حصل في بيته ، واذا لم يكف علي عن الذهاب الى «تل عزيزة» ليلا والعبث بمحتوياته فان الانتقام سيتكرر وسيتحول الى أفراد عائلته ، وسيندم حيث لاوقت للندم انذاك ، فلابد ان هذه الحادثة الغامضة التي لم يستطع أحد

تفسيرها تخفي تهديدا قاسيا لهم •

صدق « ابو حسن » ما قاله الناس وهو ما يزال
تحت تأثير الخوف والفزع الذي تركته تلك الحادثـ
الغريبة فيه ، فنظر الى « علي » نظرة مليئة بالعتـا
واللوم فهمها علي بسرعة وحاول ان يجد تفسيرا مقنعا
حدث ، ولكنه لم يجد في رأسه أي شيء •• انه لغـ
محير لا يستطيع له حلا ، ثم ماذا سينفعه البحث عـ
تفسير مرض ما دام الامر قد وقع وانتهى ، والرجـ
خائف على اولاده الان بعد الذي حدث لكلبه ؟

حاول « علي » أن يجد خيطا يربط بين هـ
الوقائع المختلفة فلم يجد بينها أي رابط ، فما علاقة
الكلب بوجود ثلاث سمكات صغيرات ؟ ثم ما علاقـ
هذين الامرين بقطع الفخار المكسور ؟

راح يقلب الامر من جميع جوانبه ويفكر جاهـ
ومحاولا الربط بين هذه الاحداث وبين فكرة الوحـ
والكنز والرجل الذي يعتقد انه يحاول الاستحواذ على

كنز • فجأة برقت في ذهنه فكـــرة ، انحنى عـلى
سمكات الثلاث ورفعها من مكانها ثم التفت الى قريبه
حسن قائلا :

ـ هل يوجد كلب لدى الجيران ؟

ـ وماذا تريد ان تفعل به ؟ أجاب حسن بجفـاء
اضح •

ـ دعنا نره أولا •

قفز علي وحسن واحمد الى الزورق وما زالـت
سمكات الثلاث بيد علي • وعلى شاطىء البيت المقابل
ز حسن وقفز خلفه أحمد وعلي • اقترب « علي » من
كلب وقطع قطعة صغيرة من احدى السمكات ورماها
يه فاختطفها الكلب بسرعة ، وما هي الا دقائق حتـى
دا على الكلب وكأنه أصيب بدوار ، ثم سقط عـلى
لارض وكأنه في الرمق الاخير •

كان المشهد قد جرى أمام الاولاد الثلاثة وبعض

فتيان ذلك البيت وحين رأوا ما حل بكلبهم وثبـــوا صائحين بوجه « علي » على ما فعله ، ولكنه أسكتهـم بأشارة من يده قائلا :

ـ لا تتعجلوا الامر ، لم أرم له سوى قطعة صغيرة جدا من السمكة وسيقوم بعد قليل ولكني تأكدت الان من أن كلب « ابو حسن » قد قتـــل مسـموما بهذه السمكات ولم يقتله الوحش ولا انتقمت منه أشـباح « تل عزيزة » .

وحين عاد الى البيت وقص لقريبه « ابو حسن » ما جرى لكلب جارهم بعد أن رمى له بقطعة صغيرة من السمكة رفع « ابو حسن » رأسه ساخرا وقال :

ـ وهل تصدق أن أحدا يضع السـم للكاب في سمكة فيأكلها ويتركه يمضي حتى دون ان ينبح عليه ؟

ـ ولماذا ينبح عليه ؟

ـ كيف لا ؟ كلبي واعرفه ، انه ينبح حتى علـى

الزورق الراسي اذا ما حركته الرياح .

ـ الا تعتقد انه يعرف هذا الرجل الذي قدم له السم في السمك ؟

ـ يعرف هذا الرجل !!؟ قال ابو حسن وقد فاته ذلك حقا .

ـ نعم ، ربما هو واحد من الذين اعتادوا ان يأتوا لزيارتك في بيتك .

صمت « ابو حسن » ولم يقل شيئا وبدت الأمور تختلط في رأسه حتى صارت أغرب من أساطير الجـان وقصص الاشباح .

وراح بعد ذلك مع باقي أفراد العائلة ينصتون الى علي وهو يفسر لهم احتمالات تلك الحادثة من جميـع الوجوه .

— ١٠ —

روى «علي» قصصا بدت غريبة لهما ، لكنهـ
استهوتهما لطرافتها ، واخبرهما بأن هناك رجلا او اكثـ
يحاولون أن يستحوذوا على الكنز وعلى كل الاثـ
الثمينة التي لا تقل قيمتها عن قيمة الحلي الذهبيـ
والفضية ، وأن هؤلاء الرجال قد أشاعوا اكثر القصص
المخيفة حول « تل عزيزة » ، ولكنه طلب منهما التريث
في تفسير ظهور الوحش فلابد أن هناك سرا خلف تلك
الظواهر المرعبة •

ومع انهما لم يصدقا شيئا مما قاله « علي » الا
أنهما بدأا يعتقدان ان هناك أشخاصا خلف بعض تلـ

الحوادث • فمن غير المعقول أن يضع الوحش سما
للكلب لكي يقتله ويقطع رأسه ، ومن الغريب أيضا ان
تختفي كل القطع الفخارية والتماثيل والاواني المعدنية
وغيرها بعد أقل من يوم من اعادتها الى « تل عزيزة » •
اذن لماذا تركهم الوحش يأخذونها أول الامر ؟ ولماذا لم
يسترجعها بنفسه ان كان قادرا على ذلك ؟

كانت هذه الاسئلة تدور في رؤوس الجميع دون
ان يستطيعوا الاجابة عليها بسهولة ، وكان ذهاب «علي»
الى التل ليلا وعودته بالكوز المكسور سرا آخر لا
يستطيعون تفسيره •

• • •

مضت عدة أيام على تلك الحوادث ثم جاء «علي»
من احدى جولاته ليخبرهم بهذا الخبر المفاجيء :

ـ لقد عرفت الوحش •

ـ عرفت الوحش ؟!! قال أحمد وحسن متسائلين

بلهفة .

ـ نعم عرفته .

ـ وهل هو وحش حقا ؟ قال حسن متعجلا الاجابة .

ـ لا ، بل هو انسان مثل باقي الناس .

ـ انسان !! أخبرنا من هو ؟

ـ لن أخبركما ، بل سأجلبه لكما الى هنا .

ـ تجلب الوحش الى هنا ؟ قال أحمد وقد أخذ ينظر الى « علي » وكأنه أمام ساحر كبير .

أجاب علي بهدوء : « لا تتعجلا ، يجب علينا ان نصطاده اصطيادا ، فقد بدأ هو الاخر يعرف انني اكتشفت سره ، وربما سيفوت علينا فرصة القبض عليه لو تصرفنا تصرفا طائشا سريعا .

ـ اذن ماذا سنفعل ؟ قال حسن

أجاب علي بهمس : قبل كل شيء أريدكما أن تبقيا ما قلته الان سرا بيننا وأن لا يعرف أحد من العائلة او من سكان القرية شيئا عما سنقوم به في الايام القادمة .

اتفق الاولاد الثلاثة على ذلك وتركت مهمة التخطيط لعلي الذي حرص على عدم اخبار أحمد وحسن بكل التفاصيل .

مضى يوم على هذا الاتفاق وبعد أن تجول في زورقه وحيدا في الصباح أخبرهما بأن يتهيأ للذهاب الى التل ذلك المساء .

كان احمد وحسن ما زالا خائفين من ذكر التل وقد ازداد خوفهما حينما أخبرهما « علي » بخطته في الذهاب الى هناك في المساء ، وحينما حاولا أن يثنياه عن ذلك أجابهما بهدوئه المعهود : « لا تخافا فالوحش غير موجود هذه الليلة » .

تساءل احمد مستفسرا : كيف عرفت انه غير

موجود ؟

— ألم أقل لكما انني اعرف الوحش ، انه هذه الليلة خارج القرية ، بل خارج الهور كله .

اطمأن احمد وحسن قليلا بعد اجابة « علي » هذه، حيث صارا يثقان بما يقوله ويستمعان اليه دون معارضة او نقاش .

وقبل غروب الشمس بقليل ركب الثلاثة زورقا وتوجهوا نحو « تل عزيزة » . كان التوتر والارتباك واضحا على وجهي أحمد وحسن وقد حاولا بحديثهما المتواصل اخفاءه كي لا يظهرا أمام « علي » خائفين من الاقتراب من التل . واستمرا بالحديث والضحك حتى أوشكت الشمس على الغروب . في تلك الاثناء بدأ التل يتوضح من بعيد ، داكنا تغلفه طبقة خفيفة من الضباب .

نظر أحمد الى علي فوجده صامتا هادئا لا يبدو على ملامحه أي أثر للخوف ، بل كان ينظر الى التل

وكأنه ينظر الى ساحل احدى الجزر الساحرة الاخاذة . انتظرا منه أن يقول شيئا ، أن يريحهما بكلمة واحدة فيوقف هذا الخوف الذي بدأ يتحرك في أعماقهما بشدة، لكنه ظل على هدوئه وصمته حتى صار التل على بعد عدة امتار منهم ، في تلك اللحظة تحركت حزمة كبيرة من البردي كانت على شمالهم فانكسر الصمت بسبب احتكاكها المفاجيء . التفتا بسرعة وهما يتوقعان ظهور الوحش ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، وأمسك احمد وحسن بمجذافيهما محاولين الهرب ، لكن « علي » صاح بهما آمراً : « انتظرا ... ليس هناك أي شيء » .

انتظرا على مضض وقد رفع كل منهما مجذافه بيده تحسبا للطوارىء . في تلك اللحظة قفز من بين البردي أحد كلاب الماء وغاب في الاعماق ، فتنفس احمد وحسن مستريحين بعد أن شاهدا كلب الماء يغوص في الاعماق .

● ● ●

رسا الزورق على شاطيء التل بهدوء فقام علي وقفز منه الى اليابسة ثم سحبه قليلا وطلب من أحمد وحسن ان يهبطا ايضا ، وحين صار الثلاثة على التل ربطه الى أحد الجذوع وسار متعمدا أن يكون أمامهما .

ظل الثلاثة على التل ساعة أو اكثر ، كان « علي » خلالها يشرح لهما كيف يأتي اللصوص ليلا فيحفرون ويستخرجون الاشياء من باطن التل دون أن يراهم احد من سكان القرية ، بل دون ان يزعجهم حتى مرور الصيادين من جوارهم .

وفي طريق العودة طلب أحمد وحسن من علي أن يخبرهما عن الاشخاص الذين يقومون بهذا العمل لكنه لم يجب بأكثر من عبارته التي سمعوها منه مرارا :

– لن اخبركما بل سأجلبه لكما الى البيت .

— ١١ —

ظل « ابو حسن » يعجب لخروج الاولاد الثلاثة المستمر الى الهور وقضاء اكثر الساعات في التجول . لكنه لم يشأ ان يحدثهم بالامر ، فهو يعلم أن الهور متعة الاولاد الوحيدة ولا يمكنه أن يرغمهم على البقاء في البيت مع النساء والاطفال كل النهار . وكان قلقه يزداد كلما امتد تجوالهم الى ساعة متأخرة من الليل .

في ذلك اليوم عاد من صيد السمك وقت الغداء فوجدهم يتهيأون للخروج وقد حملوا معهم – لاول مرة – آلات الصيد ففرح لهذا التغير المفاجيء وشعر انهم بدأوا يستثمرون أوقات فراغهم بغير اللهو والمتعة.
ولكنه استغرب أن يكون خروجهم بعد الظهر

كان علي كعادته صامتا يصدر الاوامر الى أحمد وحسن بهدوء وتفكير عميق • طلب من حسن أولا التوجه الى التل من الطريق الاخر المعاكس ، وبهذا تحتم عليهم ان يخرجوا من القرية ويدوروا دورة كاملة في الهور ثم يعودوا الى التل ، وكان ذلك يجعل الطريق مضاعفا • ولما سأله حسن عن السبب في اختيار هذا الطريق ، أجابه باختصار :

ـ لا نريد أن يرانا الوحش •

ـ ماذا تقول ؟ هل عاد الوحش ثانية ؟

ـ نعم ، فأنا لم أخبركما بأنه ذهب ولم يعد ، بل أخبرتكما بأنه سيغيب تلك الليلة فقط خارج الهور •

صمت أحمد وحسن ولم يقولا شيئا ، فعلي يعني ما يقوله بالضبط ولا مجال للمناقشة ولكنهما جزعا جزعا شديدا من فكرة عودة الوحش الى التل ، وحاولا ان يعرفا ماذا سينوي « علي » فعله في مواجهة الوحش•

وحين سألهم عن ذلك أجاب حسن قائلا : « سنقضي ساعة او ساعتين في الصيد ، وسأعلمهما كيف ترمى الفالة من بعيد على السمكة » •

ـ ولكن اربطها بالحبل جيدا كي لا تضيع بين القصب والبردي •

ـ هل تعلمني يا أبي ذلك وقد مضى علي اكثر من ست سنوات في الصيد ؟

ـ لا •• لا اعلمك ، ولكني انبهك فالفالة هي مورد رزقنا الوحيد هنا •

مضى « أبو حسن » الى داخل الكوخ تاركا الاولاد الثلاثة وقد هبطوا الى زورقهم مستعدين للانطلاق في جولتهم الجديدة الى اعماق الهور ، ولم يكن يعلم أنهم قد بدأوا بتنفيذ الخطوة الاولى الحاسمة في كشف خيوط تلك اللعبة الكبيرة التي انطلت على الجميع من سكان القرية •

رفع أحمد رأسه وقال : « وهل تعتقد اننا لن نواجه الوحش باختيار هذا الطريق ؟

ــ نعم ، سنراه نحن ولكننا لن ندعه يرانا •

كان كلام علي أشبه باللغز بالنسبة لاحمد وحسن فما معنى أنهم سيشاهدون الوحش دون أن يشاهدهم هو ؟ هل قرر «علي» أن يختبىء في مكان بعيد ويراقبه؟ وحين سأله احمد مستفسرا أجاب :

ــ نعم ، سنختبىء ونراقبه •

وهكذا عاد الاطمئنان ثانية الى نفس احمد وحسن واشتغلا بالجذف نحو « تل عزيزة » دونما خوف او جزع •

ظل الزورق ينساب بهدوء بين أعواد القصب والبردي ، وبين فترة واخرى تقفز سمكة من الماء وتعود اليه • او يطير طائر جميـــل من بين القصب محلقا في الفضاء ليحط في مكان اخر •

في تلك الاثناء برز « تل عزيزة » من بعيد فتوجهت عيونهم اليه حيث ستكون الساعات القادمـة حاسـمة وتبعث على الخوف اكثر مما تبعث على الامان • كانت عينا علي الوحيدتين الثابتتين الجريئتين اللتين لم يتسلل اليهما الخوف بظهور التل • وما ان اقتـرب الزورق وصار على بعد مائة متر منه حتى طلب « علي » مـن حسن أن يشق طريقه داخل احدى الحزم الكثيفة من البردي •

استقر الزورق وسط الحزّمة وفي داخله الاولاد الثلاثة ، وبعد لحظات عاد كل شيء ساكنا فكأن الهور قد ابتلع الزورق بمن فيه •

مضت ساعة وساعتان وثلاث حتى بدأت الشمس تهبط خلف الافق ويعم الظلام تدريجيا ، في تلك اللحظة برز من بعيد زورق صغير ينساب بهدوء على صفحة الماء وحين اقترب قليلا من التل شاهد الجميع رجلين يجلسان في نهايته ويجذفان ببطء شديد •

فتح أحمد فمه وأراد ان يقول شيئا لكنه فوجيء بيد « علي » ترتفع بسرعة وتمنعه عن الكلام • ثم هدأ كل شيء حتى ابتعد الزورق-وهبط منه الرجلان الى التل ، وكان واضحا أن أحدهما بحاجة الى عون للهبوط ، فقد مد صاحبه يده اليه ليعينه على القفز •

لم يستطع أحد معرفة هذين الرجلين ، فقد كان الظلام يغطي ملامحهما ويحيلهما الى شبحين معتمين ، ولكن علي كما يبدو يعرفهما جيداً فقد فتح فمه حين ابتعدا عن حزمة البردي التي اختفى داخلها الاولاد الثلاثة قائلا :

ـ هل رأيتما ؟ انهما وحشان وليسا وحشا واحدا•

ـ ولكن هل عرفتهما ؟ قال حسن متسائلا •

ـ نعم ، فهذه ليست المرة الاولى التي أراهما فيها ، ولكن كما قلت لكما مرارا ، لن اخبركما بل سأجلبهما الى البيت في الوقت المناسب •



طلب « علي » من حسن ان يشق طريقه داخل احدى الحزم الكثيفة من البردي

— ١٢ —

في صباح اليوم التالي استيقظ علي مبكرا وطلب من احمد وحسن أن يلحقاه الى الزورق • وما ان صار الثلاثة داخله وتحركوا مبتعدين عن البيت حتى فتح علي فمه قائلا :

ــ استعدا اليوم للقبض على الوحش •

أجاب حسن هامسا : ــ وكيف تريدنا أن نستعد ؟

ــ حسنا ، هذا هو السؤال •• أريد ان تهيئا الاشياء التالية : « شبكة صيد مدورة وعددا من كرب السعف اضافة الى حبل وفالتين للدفاع عن النفس » •

قال حسن : سنهيئها ، لكن أليس من حقنا ان نعرف ماذا سنفعل بالشبكة والكرب ما دمنا سنذهب للقبض على الوحش وليس للصيد ؟

اجاب « علي » بصوت قاطع :ـ « بل سنذهب للصيد » •

ـ والكرب ماذا ستعمل به ما دمنا جميعا نجيد السباحة ؟

ـ هيئها وستعرف السبب بعد ذلك ؟

صمت حسن ولم يقل شيئا ، ثم أدار الزورق وتوجه ثانية الى البيت •

• • •

في البيت انشغل حسن واحمد بتهيئة الشبكة المدورة واضافة عدد جديد من كُريات الرصاص الى نهاياتها حسب توجيهات علي لتكون أثقل من المعتاد ، وثقبوا ست قطع من كرب السعف الجاف وربطوها

بحبل قصير لتكون جاهزة للسباحة •

وما ان تم لهم جمع كل ما يحتاجونه حتى قام « علي » وحمل معه فالة ومجذافا وحبل الكرب الى زورق صغير وطلب منهما أن ينقلا باقي الاشياء الى زورق اخر وينطلقوا ثلاثتهم بزورقين الى « تل عزيزة » •

في منتصف الطريق شرح لهما خطته بالتفصيل ، ثم أخبرهما بأن ينطلقا قبله ويختبئا في نفس المكان الذي أختبأ فيه أمس وينتظرا الاشارة •

وصل أحمد وحسن ذلك المكان ظهرا واختبآ هناك بانتظار الاشارة المتفق عليها ، وعاد « علي » يتجول في أطراف الهور وحيدا يقلب في رأسه تفاصيل خطته التي سيغامر بتنفيذها مساء هذا اليوم امام « تل عزيزة » •

وما ان حل المساء وبدأت الشمس تختفي تدريجيا خلف الافق حتى أدار دفة زورقه وأتجه نحو التل دون خوف

ودون انفعال • وقبل ان يقترب من التل شد حبل الكرب
الجاف على بطنه بدقة وأخفاه تحت قميصه الذي خلعه
وأداره على بطنه ايضا • في تلك اللحظة كان ثمة زورق
صغير ينساب بسرية تامة بين القصب ، ويحاول صاحبه
الا يكتشفه أحد ، ولكن « علي » كان متنبها جـــدا
فلمحه ولمح صاحبه الذي أخفى جسده وراح يجـذف
بقطعة صغيرة من الخشب بهدوء وصمت •

حرص علي الا يكون بعيدا عن المكـــان الذي
يختبيء داخله أحمد وحسن مع زورقهما لئلا يصعـب
عليهما نجدته ، وقت الضرورة •

أوشكت الشمس ان تغيب وأوشك علي ان يفقد
صبره فأذا ما حل الليل وعم الظلام فسيكون من العسير
عليه أن ينفذ خطته ، وسيكون من العسير أيضا علـى
أحمد وحسن أن يساعداه اذا ما وقع في مأزق • فـي
تلك اللحظة بالذات فوجيء بما كان يتوقع ، فقد اهتز
الزورق هزة عنيفة كاد فيها أن يفقد توازنه ويقع في الماء،

لكنه تماسك جيدا وأعاد توازنه بصعوبة • فتح عينيه
جيدا وراح ينتظر تتمة اللعبة التي أخذ يمارسها معـه
الوحش • فجأة ظهر رأس غريب أسود من أمامه وأطلق
صرخة مكتومة كريهة ، وحين نظر علي اليه لم يهتز ولم
يفقد سيطرته ، بل قام في منتصف الزورق وراح يحدق
بشجاعة نادرة في عين الوحش اللامعة الكبيرة ، وحين
وجده الوحش ثابتا لا يتزحزح من مكانه غطس ثانية في
الماء واختفى •

كان علي يتوقع ظهوره مرة اخرى ، وبالفعل لـم
تمض دقيقة واحدة حتى اهتز الزورق هزة أعنف مـن
الاولى وأخرج الوحش رأسه ويديـه البشعتين وراح
يطلق أصواتا غريبة مفزعة • في تلك اللحظة أطلق «علي»
اشارته المتفق عليها وقفز الى الوحش واشتبك معـه
وجها لوجه •

بوغت الوحش بهذا التصرف الغريب من علـي
فحاول أن يغطس الى الاعماق ويختفي ولكن « علي »

كان قد أمسك به جيدا وظل الاثنان متشابكين على سطح الماء •

أحس علي بليونة جسد الوحش وغرابته ، وقرف من شكله البشع الكريه ، لكنه كان أمام فرصة لا تعوض فان فقدها فلا يمكنه ان يحظى بمثلها مرة اخرى أبدا ، لهذا أطلق اشارته ثانية وهو مشتبك مع الوحش ، ومن بعيد رأى زورق أحمد وحسن يتجه الى زورقه بسرعة •

حاول الوحش ان يتخلص من « علي » وينزلق بنفسه الى الاسفل ولكنه لم يستطع وحاول ايضا أن يسحبه معه الى الاعماق ولكن الكرب المربوط على جسده جيدا كان يمنعه من ذلك •

في تلك اللحظة لم يجد الوحش خلاصا من علي الا بخنقه وهو على سطح الماء ، فمد يده الى رقبته وضغط عليها بقوة • أحس علي بصعوبة التنفس وكاد ان يفقد وعيه ، ولكنه استطاع ان يبعد يد الوحش عنه بعضة قوية من أسنانه ، وما هي الا لحظات حتى أحس

بثقل كبير يجثم عليه فيشل يديه ورجليه ويمنعه عن الحركة • ظن علي أول الامر ان الوحش قد تمكن منه وانه سيموت خنقا بين يديه القويتين ولكنه سرعان ما أحس بأن هذا الشيء الذي كبله ما هو الا الشبكة التي رماها حسن فوقه وفوق الوحش حسب ما اتفقا عليه • وحين ارتفعا قليلا وسقطا داخل الزورق عرف كل شيء •

تمكن حسن وأحمد من سحب علي والوحش وهما مشتبكان داخل شبكة الصيد المدورة ووقفا فوقهما وبيد كل منهما فالة قاتلة موجهة الى جسد الوحش •

• • •

لم يجد الوحش حلا غير الاستكانة والاستسلام فربطه علي بالحبل جيدا واتجهوا به مسرعين نحو القرية دون ان يعرف أحد من سكانها ان الاولاد الثلاثة قدموا ومعهم الوحش الذي أشاع الرعب والفزع في كل مكان •

— ١٣ —

حين دخل أحمد وحسن الى الكوخ الذي يجلس فيه « ابو حسن » والعائلة كان منظرهما مخيفا •• ظهرا خائرين مرتجفين لا يقويان على الكلام ، وحين رآهما « ابو حسن » بهذه الحالة وثب بسرعة وقد خطر له خاطر سيء وصاح : « هل غرق علي » ؟

— لا ، لم يغرق •

— اذن اخبراني بسرعة ماذا جرى ؟

— لا شيء •• لا شيء ، انه في الزورق •

— ولماذا انتما بهذه الحالة ؟ صاح « ابو حسن » وقد نفد صبره •



وبينما كان علي والوحش مشتبكين داخل الماء رمى حسن شبكته فوقهما حسب الخطة

ـ لقد أمسكنا بالوحش ، وهو الان مع علي في
زورق •

وبدا على « ابو حسن » انه لم يفهم شيئا ، ففتح
ـه مذهولا وقال :

ـ امسكتم بالوحش وهو الان في الزورق !!؟

ـ نعم •• ونريد ان نحمله الى الداخل ، قـال
لك حسن وما زال صوته متهدجا ووجهه مصفرا شاحبا
ل وجوه المرضى

ـ « لابد انكم قد جننتم جميعا » قال « ابـو
ـسن » عبارته هذه وخرج من الكوخ باتجاه الشاطيء••
ما ان لمح « علي » ومعه ذلك المسخ الاسود البشع حتى
ـيب بهزة عنيفة في كيانه تركته يرتجف من الهلع •
ذا المسخ هو نفسه الذي رآه قبل أشهر وتركه مريضا
ـيح الفراش عدة أيام • أحقا هو الان بين أيدي هؤلاء
ولاد لا حول له ولا قوة ؟

عاد الى الكوخ ثانية وكأنه فقد صوابه ، وحين توجه مع أحمد وحسن الى الزورق لمساعدة علي بحمل الوحش الى الداخل لم يجد في نفسه الشجاعة الكافية لذلك ، وظل على بعد عدة أمتار من الزورق ينظر بعينين زائغتين الى الوحش تارة والى علي الذي ما زال على ثباته وهدوئه يجلس جوار الوحش دون أن يعيره شيئا من الاهتمام •

وحين وجد « علي » الجميع وقد أصابهم التردد والارتباك فتح فمه قائلا : ما بالكم أتريدون أن نظل الى الصباح في الزورق ؟ ساعدوني بحمله الى الداخل

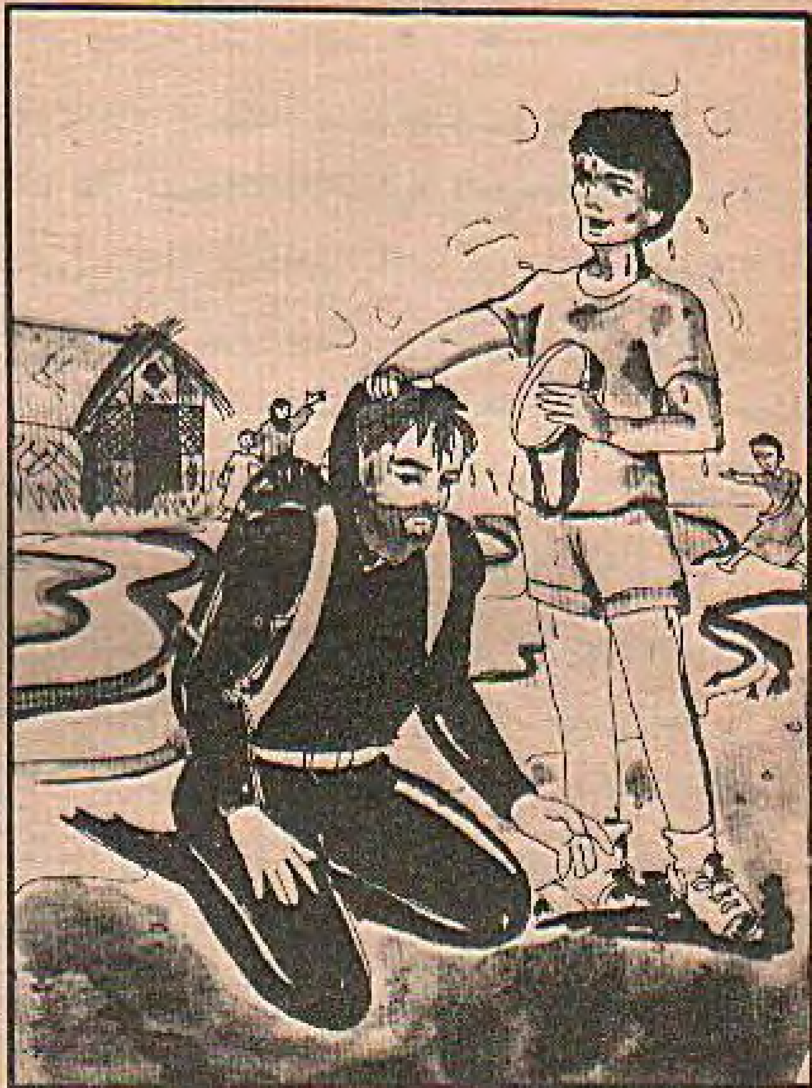
وبكثير من الحذر المشوب بالخوف حمل الاربعة الشبكة من أطرافها وفي داخلها يقبع الوحش ساكنا لا يتحرك • وضعوه أول الامر علـى الارض • خارج الكوخ ثم رفعوا الشبكة عنه وطلب علي بأن يجلبوا فانوسا ليكشف لهم حقيقة ذلك الوحش الغامض • و

أحضروا الفانوس وانتشر نوره الشاحب الضئيل يضيء المكان حتى مد علي يـده الى رأس الوحش وجذبه بسرعة.في تلك اللحظة أوشك الجميع أن يصرخوا من الدهشة والعجب ، لقد كان « المستر » ذو اللحيـة الكثيفة يختفي تحت ذلك القناع الاسود المخيف •

ظل « ابو حسن » واجما وهو ينظر الى الرجـل الغريب الذي ظن انه جاء ليدرس اعشاب الهور ويساعد الناس البسطاء في القرية ، ولم يعرف بالضبط لماذا فعل كل ذلك ؟ ولماذا كان يداوي الناس ويزورهم في بيوتهم لتقديم العون لهم ثم يلبس هذا القناع ويخيفهم ويحاول ايذاءهم والايقاع بهم ؟

وحين شرح له « علي » لماذا يفعل ذلك ، وما هي الغاية من وراء هذه التمثيلية ؟ عاد فأوثقه ثانية وقرر أن يسلمه غدا صباحا الى شرطة الحلفاية •

• • •



وحين رفع علي القناع عن رأس الوحش فوجىء الجميع بالمستر ذي اللحية الكثيفة خلف ذلك القناع

كانت تلك الليلة أطول ليلة في حياة « ابو حسن » وعائلته ، فكأن ما حصل لهم مجرد حلم عابر سرعان ما يصحون ويتخلصون منه . ولكن الذي تصوروه حلما ما هو الا حقيقة ساطعة ، فقد انسلخ الوحش وخرج منه رجل يعرفونه ويحترمونه ، بل يخافون سلطته ومكانته في العمارة . .

تردد « ابو حسن » قليلا وهو يروي تفاصيل هذه القصة الى سكان القرية في الصباح ، ثم ندم حين لم يصدقه أحد منهم ، ولما رافق بعضهم ليريه القناع والملابس السوداء التي كان يرتديها « المستر » صمت الجميع وسقطوا في نفس الحيرة التي سقط فيها « ابو حسن » قبلهم .

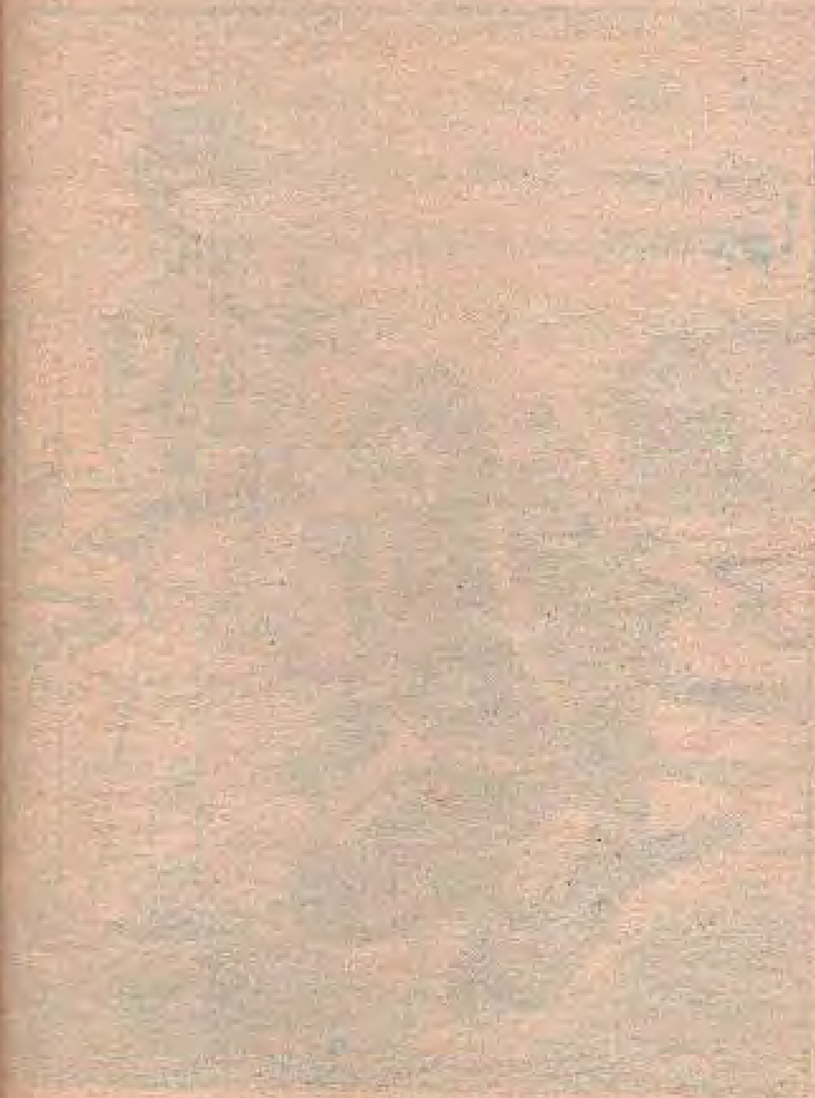
وفي الحلفاية اهتم رجال الشرطة بالامر اهتماما بالغا ووضعوا الرجل الانكليزي الغريب في غرفة منفردة بانتظار ارساله مخفورا الى العمارة ، وتسلموا من « ابو حسن » القناع والملابس السوداء ، وهي دليل

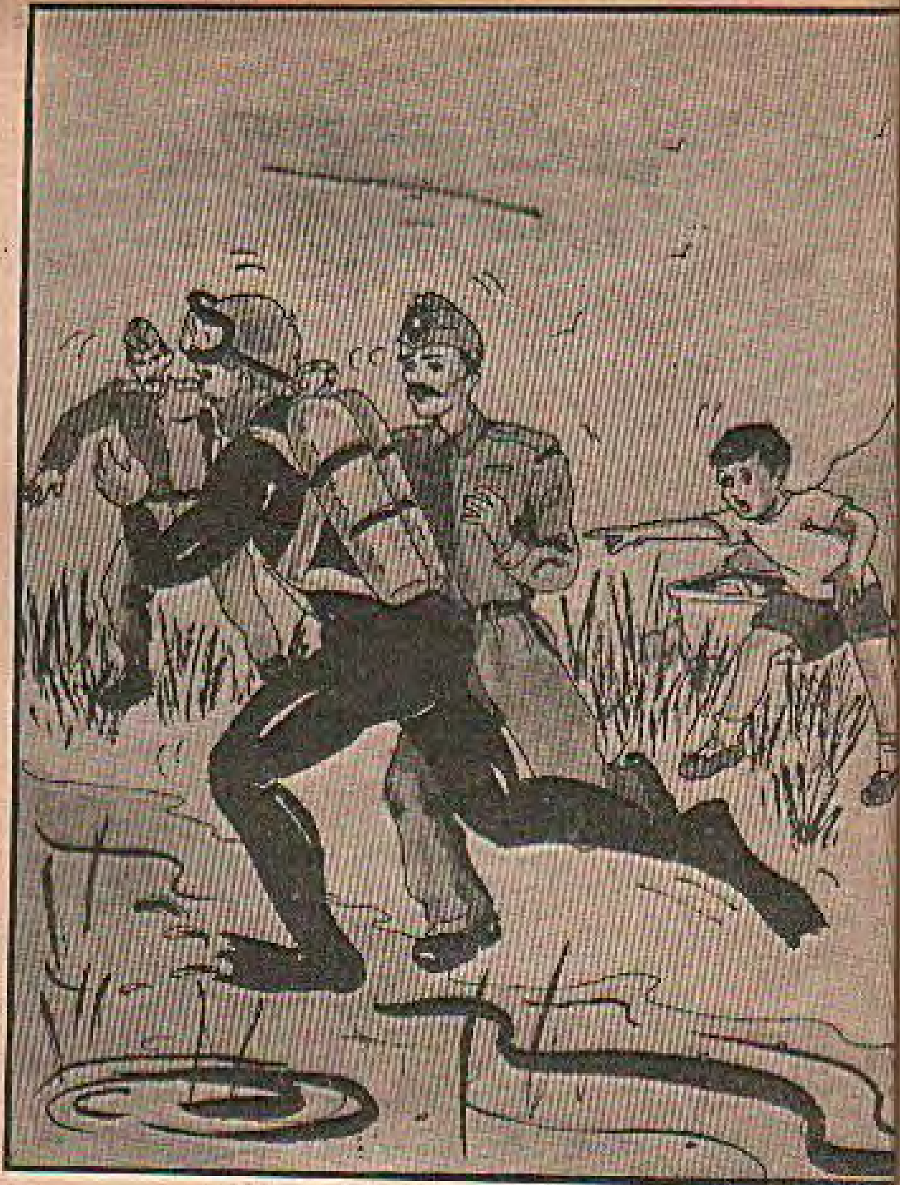
لاتهام الوحيد الذي لا يمكن أن ينكره « المستر »
هناك •

* * *

في العمارة تم استدعاء « ابو حسن » والاولاد الثلاثة ، وبعد استجوابهم فوجئوا بأن القضية كلها تكاد تنقلب ضدهم حيث تبين ان الرجل الغريب لم يمثل دور الوحش ولم يظهر الى الناس ليلا ليخيفهم ، وما هذه الملابس الغريبة الا عدته التي تساعده على الغوص للبحث عن جذور النباتات الطبية القابعة في الاعماق •

وكاد « علي » أن يجن ، وقد عرف ان هذا الرجل الغريب يحاول بذكائه ولباقته أن يبعد عنه التهم الموجهة اليه ، وقتها لم يجد بدا من طلب الانفراد بالحاكم • ولما تيسر له ذلك أخبره بقصة الآثار القديمة الثمينة التي اعادها سكان القرية الى التل ، فجمعها الرجل وصاحبه وبين له ان من بين هذه الاثار قطعا ذهبية وفضية قديمة وأواني معدنية وفخارية كان سكان القرية قد عثروا





عليها في التل في أوقات مختلفة • واخبر الحاكم ايضا انه يعرف أين خبأها هذان الرجلان •

حين سمع الحاكم كل ذلك اقتنع به ولكن لابد من التحقق اولا • طلب من « علي » ان يرافق بعض افراد الشرطة ليدلهم على المكان الذي خبأ فيه هذان الرجلان كل تلك الآثار الثمينة •

خرج « علي » من غرفة الحاكم فوجد قريبه «ابو حسن » واجما لدى الباب وقد تملكه خوف كبير بسبب هذه الورطة التي رمى نفسه فيها ، وما ان التقت عينه بعين علي حتى استدار غاضبا محاولا الا يضطر للتحدث اليه • لكنه فوجىء بعلي وهو يغادر المكان يتبعه رجلان من رجال الشرطة •

كان الطريق من العمارة الى الحلفاية سهلا ، فالسيارة الحكومية التي استقلها « علي » مع افراد الشرطة راحت تقطع الطريق الترابي الوعر بسهولة ويسر • وبأقل من ساعة كانت تقف قرب مركز شرطة الحلفاية •

ترجل الجميع ثم دخلوا المركز ما عدا « علي » الذي ظل لدى الباب ينتظر خروجهم من غرفة مأمور المركز • وبعد دقائق قادهم شرطي ثالث الى حيث يرسو على الشاطىء أحد الزوارق البخارية السريعة • فقفز الشرطيان الى داخله وطلبا من علي أن يلحق بهما ، وانشغل

الشرطي الثالث بفك الحبل الذي يشده الى جـــذع شجرة على الشاطىء ، ثم لفه على يده وقفز هو الاخر اليــه •

وبلحظات راح الزورق البخاري يشق طريقه في الجدول الصغير متجها الى الهور • سأل علي الشرطـي الثالث ان كان يعرف الطريق الى « تل عزيزة » ام لا ؟ ولكن الاخير اكتفى بالابتسام ثم أخبره انه يعمل على هذا الزورق منذ عشر سنوات قضى اكثر من نصفهـا بالتجول في الاهوار لمطاردة المهربين والمجرمين الهاربين الذين لم يجدوا أفضل من الهور مكانا للاختبـــاء • وبالفعل أثبت هذا الشرطي انه يعرف الهور جيدا ، فقد وجد علي نفسه فجأة أمام « تل عزيزة » دون ان يكون قد رأى من قبل ذلك الطريق الذي سلكه الان في هذا الزورق البخاري •

في تلك اللحظة رأى الجميع زورقا بخاريا مشابها يتحرك من جهة التل الثانية وينطلق في الجانب الاخـــر

من الهور •

صاح علي وقد فوجىء بوجود ذلك الزورق هناك

ـ انه هو ••• انطلق خلفه بسرعة •

ـ من هو ؟ وماذا تعني ؟ اجابه الشـــرطي الذي يقود الزورق غير مكترث لحماسة علي وتلهفه •

ـ « انه صاحبه وهذا زورقهما ، انني اعرفه » قال علي ذلك وما زال الزورق البخاري الاخر لا يبعد عنهم سوى عدة مئات من الامتار •

ـ لقد أخبرونا ان هناك أشياء مخبوءة في « تل عزيزة » وعلينا التأكد من وجودها وجلبها معنا ، قال الشرطي هذا وهو ينظر الى علي ببرود ، ولكن «علي» استطاع بسرعة أن يفهمهم بأن الرجل الغريب قد خبـأ الاشياء في التل ولابد انه أخذها الان وهرب بها •

اقترب زورق الشرطة البخاري من التل تلــك اللحظة ، وقبل ان يهبط أحد اليه شاهدوا حفرة كبيرة

في احد جوانبه ففهموا بالضبط ما كان علي يحدثهم عنه . وما هي الا ثوان قليلة حتى انطلقوا بزورقهم لمطاردة الزورق الاخر في أطراف الهور .

ظل الزورقان منطلقين بأقصى سرعة وكانت المسافة التي تفصل احدهما عن الاخر لا تزيد على كيلو متر واحد ، وراح علي يفتح عينيه جيدا لكي لا تنطلي عليه لعبة جديدة يبتدعها عقل هذا الطبيب المزيف . أخذت المسافة الفاصلة بين الزورقين تضيق تدريجيا ثم فجأة استدار ذلك الزورق يمينا وسار بمحاذاة بعض الجزر الصغيرة المنتشرة هناك،وبدا عليه انه توقف خلف احداها ، وبالفعل ما ان وصل زورق رجال الشرطة هناك حتى وجدوا الزورق الاول وقد توقف عن الانطلاق وترجل سائقه الاجنبي وانشغل بربطه في أحد الجذور القوية وكأنه ما كان يحاول الفرار من امام الزورق الثاني ولا أحس بمطاردته .

صاح أحد رجال الشرطة وهو يقفز الى شاطىء

تلك الجزيرة الصغيرة موجها كلامه الى الرجل الغريب قائلا :

ــ لا تتحرك .. انت مطلوب ، ولدينا أمر بتفتيش الزورق .

رد الرجل متعجبا : لديك أمر بتفتيش الزورق !! لماذا ؟

ــ لانك تخفي داخله أشياء مسروقة .

ــ أمامك الزورق فتشه كما يحلو لك .

وانشغل أفراد الشرطة الثلاثة بتفتيش الزورق فيما راح علي ينظر في الماء والقصب ويدور هنا وهناك حول الجزيرة الصغيرة يبحث في كل الاتجاهات .

وبعد دقائق هبط الرجال الثلاثة دون أن يعثروا على شيء وقبل ان يهموا بركوب زورقهم والعودة من حيث أتوا كانت ضحكة الرجل الغريب تجلجل في المكان ساخرة هازئة . وكان اكثر الموجودين حزنا وألما هو « علي » الذي أحس ان مهمته انتهت الى الفشل الذريع

بعد هذه الضحكة الساخرة ، وما ان وضع قدما على ظهر الزورق ورفع قدمه الاخرى عن ارض الجزيرة حتى رأى شيئا صغيرا لا يزيد حجمه على عدة سنتمترات يبرز من بين القصب والبردي فثبت نظراته عليه كأنه يريد أن يتأكد من طبيعته • في تلك اللحظة كان الرجل الغريب ينظر الى علي وهو يحدق في ذلك الموضع بأمعان ، فأصابه الذعر ولم يعرف كيف يتصرف ، اذ لابد ان نظرة علي الى ذلك المكان كانت أشد خطورة عليه من كل ما يحيط به من مخاطر •

لم يبق امام الرجل الغريب بعد ان تأكد له افتضاح أمره سوى التفكير بالنجاة من الشرطة فقفز الى زورقه محاولا تشغيله والانطلاق به •

وكان علي تلك اللحظة قد تأكد من حقيقة ذلك الشيء الذي برز من بين القصب والبردي ، وفهم لماذا قفز الرجل الى زورقه مسرعا ، فلم يترك الوقت يضيع هباء حيث صرخ بالشرطة صائحا : « لا تدعوه يهرب » •

وبالفعل قفز اثنان من رجال الشرطة بنفس اللحظة التي انطلقت فيها صيحة علي وأمسكا بالرجل حتى دون أن يعرفا سببا لذلك • وحين مد علي يده الى الشيء البارز تأكد انه صندوق خشبي كبير ، وحين تم لهم رفعه وجدوا قربه عددا اخر من الصناديق وقد ملئت جميعها بالتحف والاثار المسروقة من «تل عزيزة» •

★

حين عاد علي بالصناديق الخشبية الى العمارة برفقة رجال الشرطة كانت قصة بطولته وشجاعته قد سبقته الى هناك ، وقد عرف الجميع بعد ذلك ، وبعد أن تم التحقيق مع هذين الرجلين الغريبين واعترفا بكل شيء، أنهما لم يكونا طبيبين بل كانا من لصوص التحف والآثار المشهورين ، وقد جمعا في هذه الصناديق الخشبية مجموعة كبيرة من آثارنا البديعة ، الثمينة كي يهربوها خارج العراق ويبيعوها للتجار الكبار وللمتاحف الاجنبية الشهيرة لتتباهى بها أمام الامم مع انها ليست من آثارها ولا من ممتلكاتها الحضارية •